الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الاداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية **تخصص: أدب حديث ومعاصر**

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية

الموسومة بـ:

أدبية السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية الحديثة

لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي –أنموذجا–

إعداد الطالبتين: **إشراف الأستاذ:**

–تركية بن عسلة – أ – مُحَّد مزيلط

–سميرة بلخوجة

أعضاء اللجنة المناقشة

د/ عبد السلام بوشيبة .....رئيسا

أ/ مُحَّد مزيلط .....مشرفا

د/ معاشو قرور .....مناقشا

السنة الجامعية : 1439هـ- 1440هـ

2018م– 2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الاداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية **تخصص: أدب حديث ومعاصر**

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية

المـــوســـومـــة بـ:

أدبية السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية الحديثة

لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي –أنموذجا–

إعداد الطالبتين: **إشراف الأستاذ:**

–تركية بن عسلة – أ – مُحَّد مزيلط

–سميرة بلخوجة

أعضاء اللجنة المناقشة

د/ عبد السلام بوشيبة .....رئيسا

أ/ مُحَّد مزيلط .....مشرفا

د/ معاشو قرور .....مناقشا

السنة الجامعية : 1439هـ- 1440هـ

2018م – 2019 م

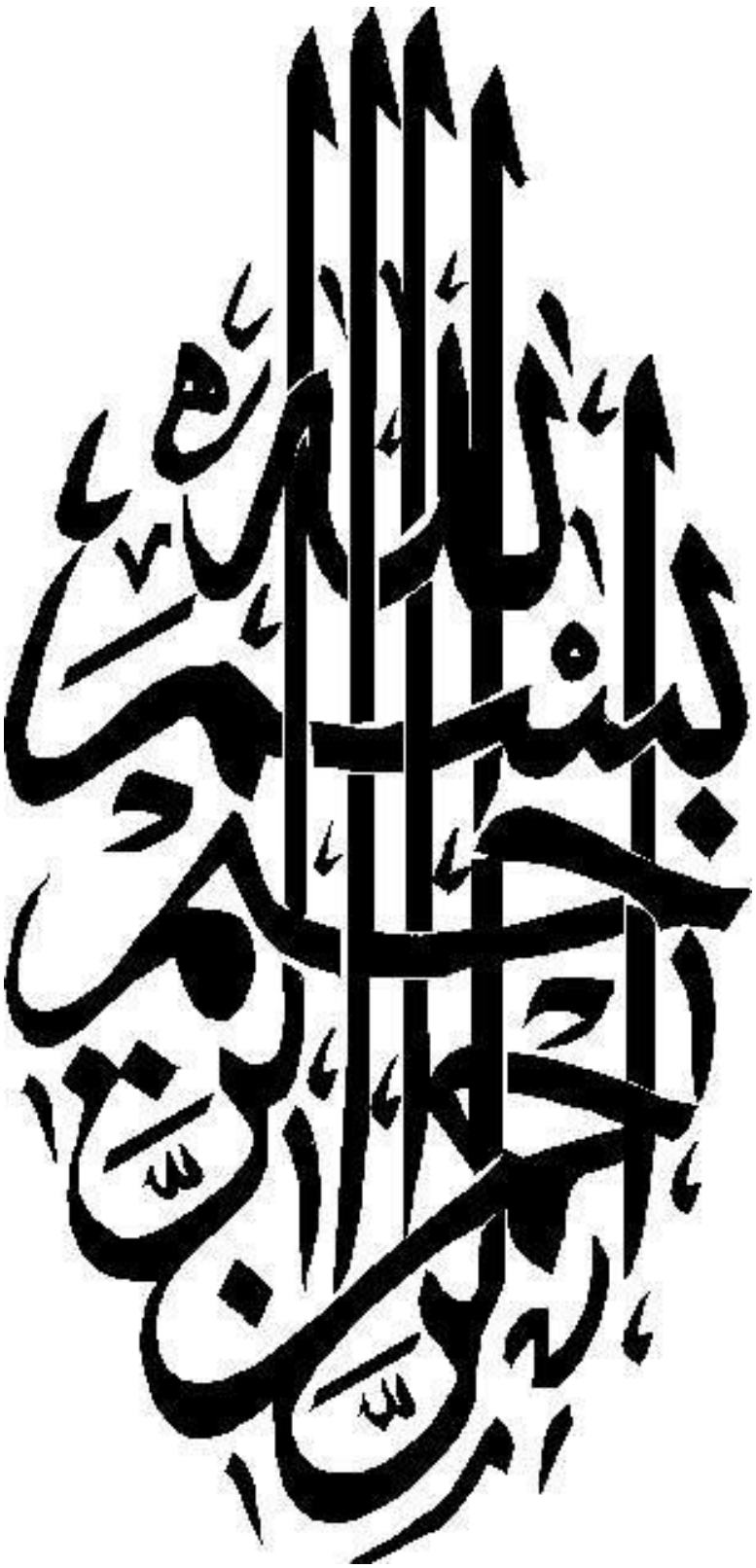
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى نبع الحنان الصادق الذي لا ينقطع إلا بانقطاع الحياة

أمي العزيزة " فطوم"

إلى رمز التضحية والفداء والعطاء

أبي الغالي " عابد "

إلى الجوهرتين الغاليتن

أختي "منى" وأختي "نسرين"

إلى أخواتي الأمراء

" أحمد ، مُحَمَّد ، أحمد الجميل ، عبد الصمد ، إبراهيم الخليل"

تركية

إهداء

إلى والدي ووالدتي حفظهما الله

إلى زوجي وفلذات كبدي

" عبد الحي " و " إسحاق"

حفظهما الله ورعاهما

إلى أختي وأبنائها

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

سميرة

مقـدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،خاتم الأنبياء الصادق الأمين،وعلى آله وصحبه حملة لواء الدين وعلى كل من سلك سبيلهم إلى يوم.

اكتست الرواية مكانة عظيمة على مستوى الاداب العالمية، ولا سيما الأدب العربي وهذا نظرا لما طرحته من إشكاليات وقضايا، ولتنوع اتجاهاتها وأنماطها ولعل من أبرز هذه الأنماط: رواية السيرة الذاتية .

ورواية السيرة الذاتية من الروايات حديثة العهد في الآداب، وتقوم أساسا على المطابقة بين النص والواقع؛ لأنها تعكس لنا صورة صادقة عن تجربة انسانية حية من واقع معاش إلى نص أدبي، ينبض بالحياة ممزوجا بالواقعي والخيالي.

ولم يخل الأدب العربي من هذا النمط من الكتابات السيرية والشواهد على ذلك كثيرة، ونكتفي بالعودة إلى بدايات الرواية العربية في مطلع القرن العشرين للوقوف عند هذا الأمر،منها رواية: (الأيام) لـــ "طه حسين" و رواية: (نائب في الأرياف) لـــ "توفيق الحكيم".

ولا يخرج بحثنا عن هذا الاطار، أي الرواية السيرية تكمن أهميته في التعريف بالأدب الجزائري لأنه يشتمل على رواية للمفكر والفيلسوف الجزائري "مالك بن نبي"، كما أنه يتركز للكشف عن الجوانب الجمالية فيها، لذلك وسمناه ب:"أدبية السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية لبيك حج الفقراء لـ " مالك بن نبي"

والحقيقة حاولنا الاستفادة من دراسات تناولت الكتابة السيرية ولعل من أبرزها:

رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم (دراسة نقدية تحليلية) لـ "سامر صدقي مُحَمَّد موسى" .

و السيرة والتخييل في رواية أنثى السراب لـــواسيني الأعرج لـــ "عبد القوي أحمد".

إن اختيارنا لهذا الموضوع مرده الى سببين اثنين، سبب ذاتي،متمثل في حبنا للأدب الجزائري كما لايخلو أيضا من الفضول العلمي الذي راودنا في قراءة كتابات المفكرين، "المفكر مالك بن نبي" وسبب موضوعي، تمثل في محاولة كيفية تشكل أدبية النص السيري، ومحاولة بيان أدبية نص مالك بن نبي .

وللاجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة ارتأينا أن نرسم للبحث خطة كالآتي، مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول وسمناه بـــ: مفاهيم نظرية في الأدبية والسيرة الذاتية،يتكون من ثلاث مباحث: **المبحث الأول** حددنا فيه مفهوم الأدبية بصورة موجزة ، وذلك لأن ما يهمنا هو ما المقصود بالأدبية لنسعى إلى إبرازها في الجانب التطبيقي، أما **المبحث الثاني** حددنا فيه ماهية السيرة الذاتية وأنماطها، **المبحث الثالث** علاقة السيرة الذاتية بالأشكال الأخرى، ويتضمن الوضع الأجناسي لسيرة الذاتية، أما **المبحث الرابع** حددنا فيه مسارات الرواية السيرية الجزائرية

أما الفصل الثاني فقد وسمناه بـــ: "مقومات النص السيري"،يتكون من **خمسة مباحث**: تناولنا في **المبحث الأول** الميثاق وأنواعه،أما **المبحث الثاني** تناولنا فيه التطابق (المؤلف،السارد،الشخصية،الزمان، الفضاء) **والمبحث الثالث** تناولنا فيه الدوافع، أما **المبحث الرابع** تناولنا فيه الصراع، أما **المبحث الخامس** تناولنا فيه الحقيقة والخيال و الصدق والصراحة باعتبارهما أمران يتميز بيه النص ال سيري عن غيره من الأجناس الأخرى.

أما الفصل الثالث فقد وسمناه بـــ:"تجليات الأدبية في رواية "لبيك حج الفقراء"، وقد جاء هو الأخر في **خمسة مباحث**، المبحث الأول خصصناه لبيان سيرية نص لبيك حج الفقراء ودلالة العنوان، **والمبحث الثاني** تناولنا في أدبية الشخصيات، أما **المبحث الثالث** تحدثنا فيه عن أدبية الفضاء، أما **المبحث الرابع** تحدثنا فيه عن أدبية السرد، أما **المبحث الخامس** تناولنا في أدبية الزمن.

وأنهينا بحثنا بخاتمة أبرزت فيها أهم النتائج التي توصلنا اليها وأعقبناها بملحق أوردنا فيه ملخص لرواية لبيك حج الفقراء، ونبذة عن حياة مالك بن نبي، ثم عرض لقائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع، في مقدمتها المصدر الأم المعتمد في هذه الدراسة وهو (مدونة لبيك حج الفقراء)، بالاضافة إلى بعض المراجع من بينها: كتاب "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" لإبراهيم عبد الدايم يحي" بالإضافة إلى كتاب "مُحَمَّد شعبان عبد الحكيم" "السيرة الذاتية في الأدب الحديث" ومن المراجع المترجمة، مرجع "فيليب لوجون" "السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ" ترجمة"عمر حلي".

ومن الصعوبات التي وجهتنا، قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كما أسلفنا، فلم نعثر على دراسة تناولت أدبية السيرة في هذه المدونة، والسبب الثاني تمثل في تغير الأستاذ المشرف على البحث، فتأخرنا نسبيا عن زملائنا، بالاضافة إلى صعوبة التوفيق بين الدراسة والبحث، وحتى الأعباء اليومية.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الفاضل "مُحَمَّد مزيلط" الذي تفضل بقبول الإشراف على البحث وأحاطه بالعناية والاهتمام، وكذا جهده وصبره معنا، فبفضل نصائحه وتوجيهاته تم انجاز هذا البحث

كما نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

"ونسأل الله التوفيق والسداد"

الفصل الأول

مفاهيم نظرية في الأدبية والسيرة الذاتية

المبحث الأول: مفهوم الأدبية

المبحث الثاني: ماهية السيرة الذاتية

المبحث الثالث: علاقات السيرة الذاتية بالأجناس الأخرى

المبحث الرابع: مسارات الرواية السيرية الجزائرية

تمهيد

يتكون البحث الأكاديمي في عمومه من شقين، شق نظري وشق تطبيقي، ولا يمكن لشق التطبيقي أن يستقيم ويفهم ويكتمل، دون أن نحيطه بالنظري؛ لذلك سنركز في هذا الفصل النظري على أربعة مباحث.أولهما متعلق بوضع حد لمفهوم الأدبية بما أنها العنصر الذي سنسعى لإبرازه في الفصل التطبيقي،والثاني متعلق بمفهوم السيرة الذاتية وأنماطها،ثم يليه مبحث أخر نبرز فيه علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأخرى مثل الاعترافات واليوميات وغيرها وتحديد أوجه التشابه والاختلاف حتى نستطيع التفريق بينهما،ثم تحته عنصر آخر يحدد الوضع الأجناسي لسيرة الذاتية بما أنها تتقاطع وتتداخل مع جملة من الفنون الأخرى مثل الرواية وغيرها، ثم مبحث آخر نتتبع فيه مسارات الرواية السيرية الجزائرية وذلك من خلال مرحلتين، مرحلة الاستعمار ومرحلة ما بعد الاستقلال،كل هذه العناصر سنتناولها في هذا الفصل.

المبحث الأول : مفهوم الأدبية

يعد مصطلح الأدبية من أكثر المصطلحات التي لقت رواجا وشيوعا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة منها والمعاصرة، بدأ ظهور المصطلح في الربع الأول من القرن العشرين، مع عدد من النقاد، خاصة الشكلانيين الروس الذين جعلوا من الأدبية محور دراستهم ومركز انشغالهم واهتمامهم فما المقصود بالأدبية؟

ورد مفهوم الأدبية في كتاب " معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" لـ "سعيد علوش" ملخصا كالآتي:

«- طابع خالص في الأدب أي ما هو شاعري منذ بدايته.

-وليس موضوع علم الأدب عند جاكبسون هو الأدب بل الأدبية، أي ما يجعل من العمل عملا أدبية.

-المصطلح مقياس سيميائي يخص النصوص الأدبية وحدها.

-تعرف الأدبية في النظرية السيميائية للأدب بأنها تسمح بتمييز كل نص أدبي عن النصوص غير الأدبية في دراسة الشكلانين الروس خاصة»[1]، ومن خلال هدا القول نلاحظ أن "سعيد علوش" في تعريفه للأدبية شمل جميع مدلولاتها وأبعادها، ويتضح لنا أن الأدبية تختص بدراسة الخصائص النوعية التي تجعل من النصوص حاملة لطابع الأدبية.

وبما أن الأدبية مصطلح وليد النقد الحديث استعملها الناقد واللغوي الروسي "رومان جاكبسون R.Jakobson" للإشارة إلى الخصائص التي تميز العمل الأدبي يقول « ليس الأدب في عمومه هو ما يمثل موضوع علم الأدب إن موضوعه هو الأدبية أي ما يجعل من أثر ما أدبيا»[2] أو بمعنى آخر « ليس موضوع علم الأدب هو الأدب بل الأدبية أي ما يجعل من أثر ما أدبيا»[3]إذن فالأدبية تسعى إلى دراسة الخصائص والمميزات والعناصر التي تجعل من عمل ما عمل أدبي لذلك اشترط "بوريس ايخنباوم B.Eikhebaum" بأن يكون موضوع علم الأدب هو دراسة الخصصيات للموضوعات الأدبية يقول: «إن موضوع علم الأدب يجب أن يكون دراسة الخصصيات النوعية للموضوعات الادبية التي تميزها في كل مادة أخرى»[4] هذه الخصصيات التي بدراستها يتم تمييز العمل الأدبي «يمكن اعتبارها ماثلة في النص محددة لجنسه الفني ومكيفة لطبيعة تكوينية وموجهة لدى كفاءته في أداء الوظيفة الجمالية على وجه التحديد»[5]

هذه المقولة الشهيرة التي أوردها "رومان ياكبسون" مقولة ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا استعارها عدد من النقاد والدارسين وطبقوها في حقول محددة، من بينهم «استعارها "تزفيطان تودورف

[1] -سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة منشورات المكتبة الجامعية،دار البيضاء ،1984 ،ص32.

[2] -سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي.المركز الثقافي،الدار البيضاء،بيروت،1999، ص13.

[3] -يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح.منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر،ط1، 2010،ص278.

[4] -سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي. ص13.

[5] -صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر.ميريت للنشر والمعلومات،القاهرة،ط1، 2002 ،ص91، 92.

T.Todorov" للخطاب الأدبي: ليس غرض النشاط البنيوي هو الأثر الأدبي بالتحديد بل غرضه اكتشاف مميزات الخطاب المسمى بالخطاب الأدبي كما استعارها "لامرت Lämmert" للخطاب السردي: ليس المسألة الأولى والأساسية هي وصف أشكال السرد كما تمثلت ماديا في التاريخ بل اكتشاف المعايير التي يمكن بموجبها اعتبار الأثر الأدبي أثرا سرديا»[1] هكذا لقي مصطلح الأدبية رواجا وشيوعا لدى العديد من النقاد والدارسين.

فالأدبية تدرك من خلال التركيز على الخصائص أو العناصر التي تجعل من الأدب أدبا «هذه الخصائص لخصوصها في مصطلح واحد سموه الأدبية La lettrerarit»[2] هذه الخصائص كامنة في أعماق النص تحدد هويته وتجعله متميزا عن غيره من النصوص غير الأدبية، في هذا الصدد يقول "عبد السلام مسدي" «مدار هذا العلم هو تحديد هوية الخطاب الأدبي في بنيته ووظيفته مما يبرز النواميس المجردة التي تشترك فيها الآثار الأدبية»[3] فمن خلال هذا يتضح لنا أن الأدبية تسعى إلى دراسة النص الأدبي في حد ذاته ومن أجل ذاته بعيدة عن السياقات الأخرى النفسية والاجتماعية والتاريخية، التي كانت تهتم بالمؤلف ومقتضياته، دراسة محايثة، دون النظر إلى علاقتها بما هو خارجي، وهذا ما يؤكده صلاح فضل في كتابه "مناهج النقد المعاصر"يقول « أدبية الأدب في هذه المقولة شاعت في الستينات حيث نقلت مركز القيمة في الأعمال الأدبية من السياق التاريخي والسياق الاجتماعي والسياق النفسي لتضعه في السياق المنسق من الأعمال الأدبية ذاتها»[4]

وخلاصة القول يمكن أن نقول أن الأدبية ليست دراسة ولا هي منهج خاصية يتوصل إليها عن طريق الدراسة المحايثة التي لا تنتبه إلى سياق النص الأدبي بل ترتكز على بناء الجمالية، أي أنها ترتكز على العناصر والمعايير والخصائص الكامنة في أعماق النص الأدبي بعيدة عن السياقات الأخرى (النفسية، الاجتماعية والتاريخية) وذلك يجعله متميزا عن غيره من النصوص الأخرى.

[1]-لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية.دار النهار للنشر،بيروت، لبنان،ط1، 2002، ص14.

[2]-حميد الحميداني: بنية النص السردي.المركز العربي،الدار البيضاء،بيروت،ط3، 2000، ص11.

[3]-عبد السلام مسدي: الأسلوب والأسلوبية.الدار العربية للكتاب،ط3، ص 132.

[4]-صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر.ص92.

المبحث الثاني : ماهية السيرة الذاتية

إذا أردنا ان نتناول مفهوم السيرة الذاتية فلا بد من التعرف على معنى السيرة لغة واصطلاحا

1-السيرة لغة

تعددت مفاهيم السيرة في الكثير من المجامع العربية وعلى رأسها معجم لسان العرب لابن منظور « مأخوذة من مادة سير، والسيرة: الطريقة. يقال سار بهم سيرة حسنة والسيرة: الهيئة (...) وسير سيرة ، حدث أحاديث الأوائل »[1]

وفي تاج العروس للزبيدي : «السيرة بالكسر السنة وقد سارت سيرتها ، والسيرة الطريقة يقال سار الولي في رعيته سيرة حسنة والسيرة الهيئة »[2].

وقد وردت كلمة سير في القران الكريم ، ومنه قوله تعالى في سورة طه ﴿ **سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ** ﴾[3] أي الهيئة آو الطريقة التي كانت عليها من قبل آو الحالة التي كانت عليها .

2-السيرة اصطلاحا

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت الآراء في وضع تعريف جامع مانع لهذا المصطلح فقد أثار مصطلح أدب السيرة الذاتية جدلا مستمرا حول طبيعته باعتباره جنسا غير قار ، وجنسا مستقلا وجنس هجين او باعتباره متداخلا مع أجناس أخرى كالرواية « إن السيرة جنس غير مستقر وجنس هجين وهذه الهجنة ربما قادتها الى مصطلح **"كتابة حياة"** واستخدمته عنوانا فرعيا »[4] ومصطلح كتابة حياة يحيلنا الى

[1]- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب .مج4،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،2003مادة (سير) ،ص390

[2]-مرتضي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس.مج1،مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،ط1، 1306 هـ، مادة(سير)، ص 387

[3]- سورة طه الآية 21

[4]- عادل ضرغام: في السرد الروائي.الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1، 1431هـ 2010م،ص109.

معجم المصطلحات الأدبية لإبراهيم فتحي ، فهو يعرف أدب السيرة على انه ترجمة حياة Biography «وهو قصة حياة شخصية او جماعة ضئيلة العدد وثيقة الارتباط مثل العائلة »[1]

ويعرف فيليب لوجون السيرة الذاتية في كتابة السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي بأنها « حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصية بصفة خاصة »[2] ويتضح لنا من خلال هذا القول أن السيرة الذاتية هي استرجاع للأحداث والوقائع والأعمال الصادرة عن الشخص في مشوار حياته ، أي سرد وقائع حياة معاشة وذلك بالتركيز على أهم منجزاته واجتهاداته، وأفضل أعماله، أفضل ما قدمه في حياته.

وانطلاقا من تعريف "فليب لوجون" للسيرة الذاتية سعت "تهاني عبد الفتاح شاكر" في كتابها "السيرة الذاتية في الأدب العربي" إلى اضافة بعض الاضافات إلى التعريف تقول « حكي استعادي نثري، يتسم بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك بالتركيز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة، ويشترط فيه أن يقترح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر ان ما يكتبه هو سيرة ذاتية»[3].ويتبين لنا من هذا القول أن السيرة الذاتية هي حكي استرجاعي مترابط الاحداث يرويه الشخص بنفسه عن نفسه، مع ضرورة توضيح الكاتب على ان ما يكتبه هو سيرة ذاتية فهذا يعني ان ما يكتبه عن نفسه أو يسرده ليس بالضرورة أن يكون سيرة ذاتية .

[1]-إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية.التعاضدية العالمية للطباعة، صفاقص،تونس.الثلاثية الأولى، 1986،ص12.

[2]- فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ.تر:عمر حلي، المركز الثقافي، بيروت،لبنان،ط1،1994،ص22.

[3]-تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتيةفي الأدب العربي.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002 ،ص16.

وهذا ما يؤكده "يحي إبراهيم عبد الدايم" وذلك عندما اشترط أن تكون السيرة الذاتية في صورة مترابطة ومتماسكة يقول « الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة »[1] ونستخلص مما تقدم أن السيرة الذاتية جنس سردي يقوم على إعادة تشكيل حياة شخصية المؤلف على نحو فني .

ومن خلال هذه التعاريف السابقة نستنتج ان هناك تداخلا بين مصطلح السيرة الذاتية والترجمة الذاتية أو السيرة الغيرية لذلك سنسعى إلى التفريق بينهما :

أ– الترجمة الذاتية / السيرة الغيرية

مصطلح يتعلق بسرد أحداث ووقائع لحياة معاشة، لكن بدلا من أن يكتبها الكاتب بنفسه عن نفسه يحيل كتابتها إلى من هو أكفأ وله القدرة على تدوينها وصياغتها، وهذا ما يؤكده نور الدين صدوق في كتابه سير المفكرين الذاتية يقول « يتعلق موضوع الترجمة الذاتية بقصة حياة شخص له وزنه (...) إلا أنه بدل من أن يتولى كتابتها بذاته، ينيط المسؤولية لمن هو أكفا وأكثر دربة على الصياغة ومقدرة على التأليف»[2].

ب_السيرة الذاتية

مصطلح السيرة الذاتية وهو مايرويه الكاتب بنفسه عن نفسه، وهذا ما يؤكده كذلك نور الدين صدوق في كتابه يقول « لا تحتاج السيرة الذاتية إلى وسيط يتكفل بمهمة تسيطر أحداثها ووقائعها ، وإنما ينجز المهمة الشخص المعني بها »[3]

[1]– يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة في الأدب العربي.دار صادر،بيروت،ط1، ،1996،ص91.

[2]– نور الدين صدوق: سير المفكرين الذاتية. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص13.

[3]– المرجع نفسه: ص15.

ومن خلال هذا التفريق نجد أن السيرة الذاتية حظيت باهتمام كبير من قبل الكثير من الدارسين وحققت لنفسها مكانا متميزا ووجودا كميا ونوعا بارزا وهذا واضح وجلي من خلال عرضنا لمختلف التعريفات التي حاولت تقديم تنظير لها.

3- أنماط السيرة الذاتية

لقد عرف الادب العربي القديم أنماط مختلفة من السير الذاتية وحسب ما اطلعنا عليه في البحوث والدراسات المتعلقة بهذا الخصوص، وجدنا أن السيرة الذاتية لم تأخذ ولم تتفرد كجنس أدبي مستقل على غرار المقامات وغيرها من الأجناس الأدبية القديمة في الأدب العربي، بدليل أن الكتابة السيرية اتصلت بمجالات أخرى شكلت كل واحدة منها نمطا مستقلا، وقد أشار الباحثون الى أن السيرة الذاتية أخذت ثلاثة أنماط منها: السيرة الذاتية الدينية، السيرة الذاتية العلمية، السيرة الذاتية السياسية ، وهذا ما سنعمل على التمثيل عليه فيما يلي :

أ- السيرة الذاتية الدينية:

نقصد بهذا النمط من الكتابات السيرية هي تلك الكتابات المتمحورة حول شخصيات دينية سواء كتبت عن نفسها ، أو عن أشخاص آخرين لهم علاقة بالدين أو لهم اسهامات في الجانب الديني مثل : الرسل ، الصحابة ، وغيرهم ، كما هناك من يسمي هذا النوع بالسيرة الذاتية الروحية ومن بين أشهر هذه السير سيرة الرسول ﷺ والتي نجدها في كتاب " زاد المعاد في هدي خير العباد" "لابن قيم الجوزية"وهو مصدر غني جدا بمعلومات الحياة النبوية العطرة وأحاديث الرسول ﷺ، على الرغم من أن الكاتب لم يكن له المصادر الكافية من أجل الكتابة «ومما يثير الدهشة أن المؤلف -رحمه الله- قد ألف كتابه في حال السفر ولم تكن في حوزته المصادر التي ينقل منها ما يحتاج إليها من أخبار وأثار تتعلق بموضوع الكتاب،

مع أنه ضمنه معظم الأحاديث النبوية القولية منها والفعلية المتعلقة بصلى الله عليه وسلم مما هو منشور في الصحاح، والسنن والمسانيد، والمعاجم والسير، وأثبت كل حديث في الموضوع الذي يخصه مما يشهد سعة اطلاعه وجودة حفظه وسرعة بديهيته وربما تزول الدهشة إذا صح ما ترامى إلينا من أن هذا الإمام كان يستظهر " مسند الامام أحمد بن حنبل"الذي يضم أكثر من ثلاثين ألف حديث من حديث رسول الله ﷺ »[1].

حيث اشتمل هذا الكتاب على عدة جوانب من حياة الرسول تمثلت « شمائل الرسول ﷺ من نسبه، أمهاته، أزواجه، أولاده، أعمامه، عماته، غزواته، ملابسه، سلاحه. الجانب الثاني جاء في فصول في هديه ﷺ في العبادات : الطهارة، الصلاة، الجنائز، الزكاة، الصيام، الاعتكاف، الحج والعمرة، الذكر والجهاد.الجانب الثالث اشتمل على الطب النبوي: العلاج بالأدوية الطبيعية، العلاج بالأدوية الروحانية الإلهية المفردة والمركبة منها ومن الأدوية الطبيعية . الجانب الرابع جاء في هديه ﷺ في أقضيته وأحكامه مثل النكاح والطلاق والبيوع »[2]

ب– السيرة الذاتية العلمية

يلقب النمط الثاني من أنماط السيرة الذاتية بالسيرة الذاتية العلمية أو حتى السيرة الذاتية التأليفية الذهنية كما يذكرها البعض في كتبهم، ألا وهي تلك السير التي يكتب فيها أصحابها حياتهم العلمية والتعليمية والبلدان التي ذهبوا إليها من اجل التحصيل العلمي، أو حتى من أجل تلقينه للآخرين، فضلا عن انجازاتهم ومؤلفاتهم وكتبهم وكذا شيوخهم والعلماء الذين أخذوا من عندهم العلم وهي كثيرة ومتعددة،

[1]– تقي الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد.تح: شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيوت،لبنان،ط3، 1418هـ_ 1998 م،ص7.

[2]– ينظر: المرجع نفسه. الفهرس

نذكر منها سيرة العالم "عبد الرحمان ابن خلدون " والذي ترجم سيرته في كتاب أسماه " التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" وهو يعرض فيها جميع تنقلاته والحوادث التي مر بها حيث لم يكثر الحديث عن حياته الشخصية والعاطفية وإنما جاءت السيرة كلها تتحدث عن حياته العلمية حيث قال « وبعد أن استظهرت القران الكريم من حفظه، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفرادا وجمعا »[1].

كانت هذه السيرة عبارة عن رد من "ابن خلدون" إلى الذين قللوا من أهميته ومن مستواه العلمي والديني « أما ابن خلدون فقد خصص لسيرته العلمية ومسيرته السياسية كتابا مطولا مستقلا، وهو كتابه "التعريف"، كان الدافع الأساسي لابن خلدون للتعريف بنفسه وكتابه السيرة الذاتية دافعا علميا للرد على الاتهامات العلمية التي وجهها إليه معاصروه في مصر ومن تبعهم من المؤرخين بالطعن في كفايته العلمية، وقلة محصوله من العلوم الدينية واللغوية، بما لا يؤهله في زعمهم لتولي المناصب التعليمية والدينية، فانبرى ابن خلدون للدفاع عن نفسه، وتثبيت مكانته العلمية »[2]

أما فيما يخص الجانب الشكلي الفني للسيرة فقد « غلب عليها جانب التوثيق والتثبيت من صدق الأحداث المذكورة ، فهو يحرص على ذكر التواريخ مرتبة ، ومحددة بالشهر والسنة في معظم مقاطع السيرة»[3] كما أثرت النزعة التأريخية أيضا على أسلوب صياغته للسيرة ، فجاء السرد مهيمنا على شكلها من بدايتها إلى نهايتها ، ولكنه يختلف عن السرد التاريخي الذي يكون بصيغة ضمير الغائب، نتيجة لوعي ابن خلدون لما يقتضيه الحديث عن الذات من استخدام ضمير المتكلم ، فكان وعيه لميثاق السيرة الذاتية

[1] – عبد الرحمان ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا.عرضه : مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1425هـ/ 2004 م، ص 37.

[2] – أسامة مُحَمَّد البحري: السيرة الذاتية في التراث العربي أنواعها وتشكيلاتها الأمنية.كتاب المجلة العربية،الرياض،1439هـ، ص 39.

[3] – المرجع نفسه،ص 47.

حاضرا دائما »[1]هذا يعني أن "ابن خلدون" كان يسرد الأحداث بتلقائية ومصداقية خالصة ولم يصوغها في شكل قصصي لكي تؤثر في القارئ ومن جهة أخرى لضرورة تبرئه نفسه وإبطال التهم التي وجهت إليه وبيان قيمته وتحصيله العلمي الديني.

كما هناك سيرة علمية للعالم والإمام "جلال الدين السيوطي " "موسوعة العلوم الإسلامية والتاريخية "حيث « إن القارئ لسيرة هذا الإمام يتملكه العجب من هذا النتاج العظيم، الذي تنوع تنوعا عظيما، واختلافا كبيرا، فنراه يؤلف في التوحيد، والتفسير، والحديث والفقه، والنحو والأدب والبلاغة، والتاريخ، والتراجم والمقيمات ...الخ وهو ما تعجز عن إصداره مراكز البحوث الدولية برحلاتها وحواسيبها»[2] تظهر لنا السيرة المذهب الذي كان يتبعه بقوله «وكأن السبب في إقبالي أخرا على طريقة التصوف و ملازمة القوم»[3].

حرص السيوطي على التدرج الزمني في سرد الأحداث، كما جعل سيرته الذاتية صورة عاكسة لمشاعره الصادقة وصفا منطقيا دون تكلف أو صنعة.

ج-السيرة الذاتية السياسية

أما النمط الثالث فيتعلق بالسيرة الذاتية السياسية، وهي تلك السيرة التي يكتب فيها صاحبها أحداث حصلت في حياته، تخص أمور الدولة مثل : الخلافة، الصراع على سلطة الحكم، الحروب، الفتوحات ...الخ مبرزا فيها جانب القوة والسلطة التي يتمتع بها أثناء القيام بمهامه السياسية وسيرة " أبي المظفر أسامة منقذ الشيرزي" في كتابه "الاعتبار" هي خير دليل على ذلك إذ تحمل في طياتها « مذكراته في حروب الافرنج التي أسماها الأوروبيين الحروب الصليبية وما تقدمها من فصول حياته منذ نشأته في قلعة

[1]-المرجع السابق. ص 47.

[2]- إياد خالد الطباع: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (معلمة العلوم الإسلامية). دار القلم، دمشق،ط1، 1417هـ، 1996،م ص 8.

[3]- جلال الدين السيوطي: التحدث بنعمة الله.تح: إليزابيث ماري سارتين.المطبعة العربية الحديثة،مصر 1975،ص5.

شيرز »[1] كما ضمن فيها « بعض حكايات الصالحين وصورا ومشاهد الصيد التي حضرها مع أبيه»[2] حاول "أسامة" في سيرته أن «يسترجع الماضي محاولا أن يستعيد الأيام الخوالي مبينا للجميع تميزه وفرداته وإن جار عليه الزمان فهو ما يزال قادرا على تخليد نفسه بما صنع في ماضيه»[3].

وإذا ذهبنا إلى الجانب الفني نجده « يتسم منهج أسامة بن منقذ في سيرته الذاتية بالميل إلى الاستطراد وإهمال الترتيب التاريخي لكثير من الأحداث والقصص »[4] وفي هذا الصدد أيضا يقول شوقي ضيف « وإذا كان هناك ما يؤخذ على هذه المذكرات فهو أنها لم تكتب بشكل منطقي منسق على الزمن وتطوره وامتداده، وإنما كتبت بشكل أخبار من هنا وهناك، ومع ذالك فإنها تلم بحياته منذ صباه، وحياة أبيه وعمه وكل مكان بيئته في نشأته، كما تلم برحلاته، وتنقلاته وحروبه، وهي ترجمة كاملة له ولكنها لم ترتب ترتيبا دقيقا »[5]كما هي« تشكيل قصصي مبني على المشاهد المتتابعة التي تجمع بين السرد والوصف والحوار حيث تفتقد تلك الوحدة العضوية الناجمة عن الاسترسال في سرد المذكرات في صورة قصص متعاقبة تجمع بينها دواعي المماثلة أو المناقضة»[6]. نستنتج من هذا أن "أسامة بن منقذ "كتب سيرته الذاتية لغرض التعريف بنفسه وتبيان تميزه وقوته إبان الحروب الصليبية، وكذا تخليدا لنفسه وماضيه لدى الأجيال المتعاقبة للاعتبار والاقتداء به، وهذا ما جاءت السيرة معنونة به "الاعتبار" بأسلوب سهل مرسل.

---

[1]–أسامة بن منقذ الشيرزي: الاعتبار. تح: عبد الكريم الاشتر.ط1424،2هـ_2003م، ص7.

[2]–المرجع نفسه. ص7.

[3] - المرجع نفسه.ص7.

[4] - براءة محمود السقرات:كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الشيرزي(دراسة تحليلية).أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2011، ص22.

[5]- أسامة مُحَمَّد البحيري: السيرة الذاتية في التراث العربي.ص30.

[6] - شوقي ضيف: الترجمة الشخصية. دار المعارف،القاهرة،ط2، 1970،ص94.

وان اختلفت أنماط السيرة الذاتية من دينية وعلمية وسياسية من حيث الموضوعات أو الغاية منها، فان كل واحدة منها لم تأخذ طابعا أدبيا يقوم على جعل الأحداث والمكونات السردية الشيء الذي يجعلها حاملة لطابع أدبي حيث لم تكن الكتابة بدواع أدبية خالصة وإنما كانت بدواع دينية وسياسية وعلمية.

المبحث الثالث: علاقات السيرة الذاتية بالأشكال الأدبية الأخرى

هناك عدة أجناس أدبية لها علاقة مع السيرة الذاتية حيث تتلاقى وتتقاطع معها في نقاط بينما تختلف معها في نقاط أخرى الا وهي: الاعترافات، اليوميات، المذكرات، التاريخ وأدب الرحلات.

1-الاعترافات

تعتبر الاعترافات نوعا من النصوص السردية التي تتقاطع مع السيرة الذاتية والتي يذهب فيها « الراوي الذاتي إلى منطقة مثيرة وحساسة وخطيرة في سيرته الذاتية، ويروي فيها مثالب شخصية وأخطائها وخطاياها، وسلبياتها بأسلوب اعترافي صريح دون مبالاة للمواصفات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي يمكن أن تخل بها أو تجرها»[1] أي أن صاحب الاعتراف هنا يفتح الستار على حياته الشخصية والاجتماعية بمحاسنها ومساوئها، دون وضع خطوط فاصلة أو اعتبارات للقواعد والأعراف التي تحكم المجتمع.

وفي أدب الاعتراف يقوم « المؤلف برواية موافقة الخاصة من تجارب نفسية وعاطفية، لا يتطلع عليها احد حتى أصدقائه المقربين »[2] مثل « الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا في لحظات فورية فجائية، يخرج فيها عن شعوره الواعي، محلقا بعيدا عن عالمنا الأرضي إلى عالم سماوي، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه ، فيصور مواجيده وما شاهده في تجربته الكشفية تصويرا صادقا»[3] لأجل هذا يجب

[1]-مُحَمَّد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية(قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية).عالم الكتب الحديث،ط1، 2007،ص130.

[2]- ساميا بابا: مكون السيرة الذاتية في الرواية (حكايتي شرح يطول لجناب الشيخ).دار غيداء،ط1 ،2011ص30.

[3]-عبد الدايم يحي: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.ص 14.13.

أن يكون صاحبها يتحلى بالشجاعة للقدرة على الكتابة، إذ يرى "عبد العزيز شرف" أن « اعترافات القديس أو غسطين تستحق لقب أقدم سيرة ذاتية باقية »[1]

إذا أردنا أن نقارن بين الاعترافات والسيرة الذاتية، نجد أن الاعترافات ما هي إلا ترجمة عن الأخطاء والذنوب التي ارتكبها صاحبها ولا يذكر فيها جميع نواحي حياته، بينما السيرة الذاتية تشمل على جميع نواحي الحياة.

2-اليوميات

تتشابه اليوميات مع السيرة الذاتية من جهة أنها تسرد حياة فرد ما وهي « سجل التجارب والخبرات اليومية وحفظ الأخبار والأحداث الحياتية للشخص[2] » لها علاقة « بشخص معين معروف يرصد فيها يوميات حياته وعلاقاته مع الآخرين[3] » حيث تمثل هذه اليوميات«سرد سيري يخضع خضوعا كاملا لسلطة الزمن اليومي، وتتقيد كتابيا بظروف الزمكانية والنفسية والاجتماعية لكيفية اليوم الذي تسجل فيه كل يومية.

كما يستند شكل اليومية –لغة وتشكيلا – إلى طبيعة الأحداث والشخصية ، فتكون قصيرة أو متوسطة الطول، أو طويلة وتكون، قائمة على حدث واحد أو مجموعة أحداث ، وتكون ذات حيوية وحرارة وإثارة وتنوع، أو أقل حيوية وإثارة وتنوع ، وتظهر حماس الراوي أو قلة حماسه، وتكون ذات طابع حكائي أو وصفي» [4] وهنا يعني ان اليوميات لا تخضع لقواعد او نمط فني معين، كما تخضع لسلطة الزمن

[1]- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية.الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان،ط1، 1962،ص39.

[2]- تماني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ص74.

[3]- المرجع نفسه. ص20.

[4]- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية.ص132.

والمكان اذ تسجل تفاصيل أوقات وأحداث مرتبطة بالناحية الاجتماعية والنفسية مع اختلاف اليوميات لكل يوم أحداثه.

كما تعتبر السيرة الذاتية «أعرق من اليوميات، ترتبط أحيانا بفترة محدودة بحياة الكاتب من حيث تتصل اليوميات الخاصة بالماضي القريب، ولئن سلك الجنسان اتجاها زمنيا واحدا ينطلقان من الحاضر إلى الماضي، ومن لحظة الكتابة إلى لحظة التجربة، فان المساحة الزمنية التي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التجربة، تكون في السيرة الذاتية أوسع منها في اليوميات»[1]

ويمكن القول ان الفرق بينهما هو انه هذه الأخيرة أي اليوميات تكون من الماضي القريب ومتقطعة وأحداثها غير مرتبة، والسيرة الذاتية تكون مرتبطة بفترة معينة بحياة صاحبها مثل طفولته او شيخوخته وحتى من الجانب الضمني تكون محددة.

3-المذكرات

تعد المذكرات « سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف، وكان له فيها دوره وتختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر وشؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك فيها المؤلف أو شهدها، أو سمع عنها من معاصريه، وأثرت في مجرى حياته»[2] أي أن المذكرات هي إدراج الحياة العامة داخل الحياة الخاصة للكاتب. كما هي «سرد التاريخ والأحداث والموضوعات والقضايا أكثر من اتجاهها إلى البناء الشخصاني للراوي، كما الحال في السيرة الذاتية والغيرية، إذ يقتضي البناء السيري التزاما بحدود الشخصية في خصوصياتها الذاتية وفي خروجها إلى الأحداث والموضوعات والقضايا وفي مذكرات يكون الراوي أكثر حرية الذاتية وفي خروجها إلى الأحداث والموضوعات والقضايا وفي المذكرات يكون

[1] -مُحَّد البارودي: عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث).اتحاد الكتاب العرب،دمشق،(دط)،2005،ص57

[2] - عبد النور جبور: المعجم الأدبي.دار الملايين،بيروت،لبنان،ط2،1984ص 246.

الراوي أكثر حرية في سرد مرويات معينة ، وإغفال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوة قياسا بتلك الحرية التي يتمتع بها الروي السيري»[1] ويوضح لنا هذا أن السيرة الذاتية تعتمد على الذاكرة ومقومات البناء الشخصاني والمذكرات ترتكز في كتابتها على وقائع تاريخية.

4-التاريخ

تتماشى السيرة الذاتية مع التاريخ في خط واحد، وتولد في حضنه وهي تتحدث عن فرد منذ ولادته، وهي لا تنفصل عنه وعن أحداثه ، وهذا ما أكده" إحسان عباس" عن هذه العلاقة فيقول «كلما كانت السيرة تعرض الفرد في نطاق المجتمع وأعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها ومتأثرة بها، فان السيرة في هذا الوضع تحقق غاية تاريخية ».[2] فإذا قلنا بأن السيرة يدخل فيها الجانب التخيلي، لكن التاريخ يعتمد على الوثائق العلمية والشهادات الموثوقة وإذ دخل فيه عنصر التخييل يعتبر تشويها وتزويرا للحقائق والأحداث، والتاريخ يعد مكونا رئيسيا من مكونات السيرة الذاتية.

5- أدب الرحلات

يعد أدب الرحلات من الموضوعات التي استأثرت باهتمام الأدب المقارن، اذ تحدد الرحلة عند "أنور لوفا " «بكونها تمزج التسجيلات الوصفية والانشائية التعليمية بالحكاية والتسجيلية»[3] أي انه فن أدبي نثري يعكس فيه صاحبه أو يصف المدن والأماكن التي مر بها وفيه يقول "جورج ماي" « أنه جنس أدبي بين كل الأجناس أو الأجناس المتفرعة عن المذكرات والصحافة الملحقة بهما، وهي أجناس لم تفتأ السيرة الذاتية

[1]-محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية.ص109.

[2]- إحسان عباس: فن السيرة.دارالشروق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط1،1996،ص12.

[3]- سعيد علوش: الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية،مجلة الثقافة الأجنبية ،ع3، بغداد،العراق 1989،ص15.

تستمد منها بعض النماذج»[1]. ومنه فأدب الرحلات ما هو إلا جنس أدبي تفرع من الأجناس الأدبية التي أخذت منها السيرة نماذج حيث المروي في أدب الرحلات يأتي « بأسلوب قصصي شائق وبمحدودية في الفضاء الزمكاني وتعلق الحوادث المشاهدات الموصوفة والمسجلة زمنيا بزمن الرحلة وظروفها»[2] وهذا معناه أن أدب الرحلات يمتاز بأسلوب قصصي شيق ومثير، ومن مكوناته الزمان والمكان كما أن للراوي المرتحل لا يقوم « بتسجيل ذلك، عن المشاهد التي يرسمها ويصورها بل يحققه من خلال علاقاته الحواسية بما يسمح، ويشاهد ويتذوق ويلمس، داعما ذلك توجهه ونظره ورؤيته الذاتية التي تتمحض عن موقفه الشخصي»[3]. فالراوي هنا له حرية تصوير كل ما أتى عليه نظره ونقله للقارئ،كما يحق له في ذلك رأيه الشخصي.

أ-الوضع الأجناسي للسيرة الذاتية

لقد استقلت السيرة الذاتية كجنس مستقل في الأدب المعاصر لكن هذه الاستقلالية لا تنفي وجود تعالقات للسيرة الذاتية مع أجناس أخرى كالرواية، كما أن هناك أجناس أخرى تتعالق وتتداخل مع السيرة الذاتية سنعمل على التفصيل فيها كالرواية، ورواية السيرة الذاتية،والسيرة الذاتية الروائية.

1- الرواية

الرواية هي « فن سردي يستدعي فنا سرديا أخر هو القصة القصيرة، كما يستدعي ضروبا من فنون الحكي القديمة التي تنهض على السرد كالمقامة والحكاية الشعبية والأسطورة»[4] أي أن الرواية فن أدبي مرن

[1]- ساميا بابا: مكون السيرة الذاتية في الرواية(حكايتي شرح يطول لجناب الشيخ).ص34.

[2]- محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية.ص 135.

[3]- المرجع نفسه. ص 135.

[4]- محمد صالح الشنطي: تداخل الأنواع الادبية في الرواية الأردنية. بحث منشور في كتاب تداخل الانواع الادبية، مؤتمر النقد الدولي،جامعة اليرموك ،قسم اللغة العربية ، 2008. ص422.

يمكن له أن يحمل في طياته فنون وأجناس أدبية أخرى دون أن يختل ميزانه وشكله، كما هي القالب الأقرب والأنسب لكي تنصهر فيه السيرة الذاتية.

يبدو أن السيرة الأدبية والأدب السيري أكثر تعلقا بالرواية منها : إلى الأجناس الأدبية الأخرى وهذا نظرا لما يجمع بينهما من خصائص تؤهلها إلى ذلك، ومع هذا التقارب الحاصل بينهما إن لم نقل التماهي، فان للرواية خصوصيات متقاربة مع الأدب السير ذاتي، ويمكن إدراك ذلك في علاقة الرواية بالحقيقة أو الخيال في الكتابة السردية، حيث أن الرواية تتجاوز فكرة توظيف الحقيقة، والسيرة الذاتية التي تعتمد بشكل أساسي على التاريخ والحقيقة معا. إذ هناك مجموعة من الأدباء المصريين كانت « تطور الترجمة الذاتية، وتستغلها في ميدان الرواية، وتتجه بمحاولاتها إلى تحرير الفرد المصري، وإبراز وجوده المتميز واستقلالها الذاتي[1] » وهنا يشترط على الكاتب أن لا ينساق وراء خياله، فيضيع طريقه ويخرجه عن السيرة الذاتية.

يشير "جورج ماي" في محاولة منه من أجل الوصول إلى النقاط المتشابهة بين الرواية والسيرة الذاتية فيقول« إن الرواية والسيرة الذاتية هما شكلان يمثلان لجنس أدبي مترامي الأطراف يجمع بين الآثار المنضوية فيها أنها تتخذ من حياة إنسان موضوعا لها»[2] أي أن كلاهما يعتمد على السرد وينطلق من الواقع.

هناك فواصل تفصل بين الرواية والسيرة الذاتية، حيث في السيرة الذاتية « تكون شخصية أحادية تختزل الثلاثة في واحد —التطابق– ويعد من أبرز سيمات السيرة الذاتية التي تتمثل في التطابق بين السارد والشخصية الفاعلة والمؤلف »[3] بينما الرواية « ثلاثية تشتمل على كاتب وراوي وبطل وتستوعب العلوم »[4] وهذا ما نجده في كلام "فيليب لوجون" حيث الميثاق عنده يفصل بين الجنسين « ففي السيرة الذاتية هناك

[1] - بدر عبد المحسن طه: تطور الرواية العربية المصرية (1870هـ 1938م).دار المعارف،القاهرة،ط1، 1963،ص283

[2] – جورج ماي: السيرة الذاتية.تر: محمد القاضي محمد القاضي وعبد الله صوله.بيت الحكمة،تونس (دط)،1992،ص206

[3] - فايز صالح قاسم عثامنة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية، دكتوراه، جامعة اليرموك ، ايربد، الاردن، 2010، ص9.

[4] –المرجع نفسه. ص24

تطابق بين المؤلف والشخصية والسارد، أما الميثاق في الرواية لا يحقق هذا التطابق، فالمؤلف والشخصية، لا يحملان نفس الاسم »[1].

يعتبر الخيال من أكثر العناصر تحديدا لهذين الجنسين، فكاتب السيرة الذاتية يعتمد على الذاكرة، واستحضار الذات، والبوح بالمشاعر والأحاسيس، بينما الكاتب في الرواية يركز على عنصر الخيال في بناء أحداث الرواية بدلا من التجربة المعاشة كما هو الحال في السيرة .

2- رواية السيرة الذاتية

لا يمكن لأي كاتب أو راو عند كتابة سيرته الذاتية أن يكتبها كما عاشها حرفيا بأدق تفاصيلها والجزئيات، وذلك لأسباب وعوامل عديدة تمنعه من ذلك، من بينها الضوابط الدينية والاجتماعية التي تقف بينه وبين الحقيقة الكاملة والصدق إذ يتبرأ من بعض الأحداث التي يمكن أن تكون كاشفة عن أمور هو أصلا أخفاها من قبل في العالم الواقعي أمام الأهل والأصدقاء وخصوصا في المجتمعات المحافظة، وهذا ما قالته "فدوى طوقان "« لم أفتح خزانة حياتي كلها، فليس من الضروري أن ننبش كل الخصوصيات، هناك أشياء عزيزة ونفسية، نؤثر أن نبقيها كامنة في زاوية من أرواحنا بعيدا عن العيون المتطفلة »[2]

غير أن هناك تجارب وأراء تختلف مع ما تقدم، كما هو الأمر مع "مُحَّد شكري " فيقول « قل كلمتك قبل أن تموت فإنها ستعرف حتما طريقها، لا يهم ما ستؤول إليه، الأهم أن تشتعل عاطفة أو حزنا أو نزوة غافية، أن تشعل لهيبا في المناطق اليباب الموات»[3] وللهروب من الكتابة الحقيقية كما هي، يذهب الكاتب إلى جنس رواية السيرة الذاتية، حيث يحاول بعض أصحاب السير«عرض حيواتهم في قوالب فنية فينصاعون

[1]- ينظر: فيليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الادبي)،ص40

[2]- فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة(سيرة ذاتية).دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله،1999-2005،ص6

[3]- مُحَّد شكري: الخبز الحافي (سيرة ذاتية) دار الساقي،بيروت، لبنان،ط6، 2000، ص8.

لمتطلبات العمل الروائي وحين يبدؤون في سرد وقائع حياتهم قد تبتعد سيرهم عن حقيقة الوضع الذي عاشوه، عندئذ سيستقضون على المأزق الذي وقفوا فيه فيحاولون التستر وراء أسماء مستعارة، فتنشأ رواية قائمة على حياة أصحابها، وهي تتفاوت في قربها أو بعدها من فن السيرة الذاتية ويمكن أن نطلق عليها رواية السيرة الذاتية»[1].

ولتحديد مفهوم لرواية السيرة الذاتية نجد الناقد "مُحَمَّد العباس" في كتابه "حداثة مؤجلة" يعرفها كالأتي « في مشهدنا الثقافي الذي بدأت فيه الرواية تمارس تمددها الأفقي منذ مطلع التسعينات ، برزت سلسلة أعمال روائية يمكن اعتبارها ظاهرة أدبية جديرة بالالتفاف والمجادلة وهي الظاهرة التي عرفت أدبيا برواية السيرة الذاتية ، والتي تطرح من خلالها شخصية مؤلفها بشكل ديالكتيكي بجوار راهنها الراشد طورها القاصر كاختراع نفسي اجتماعي تتأمله (أنا)جهورية الصوت، شديدة الوعي بواقعها، إذ تتقاطع فيها كل العلاقات» [2]

وفي تتبع مفهوم رواية السيرة الذاتية نجد أنها« عمل سردي روائي يعتمد اعتمادا كليا على السيرة الذاتية للروائي، وغالبا ما تخضع الرواية السير ذاتية لبناء سردي يماثل البناء السير ذاتي خاصة في التسلسل الحدثي السير ذاتي وعلاقته بالأزمنة والأمكنة والشخصيات الداعمة لموقف الذات عبر جسد المتخيل، لذا فهي تنوع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقنية والياتها المتعددة للراوية والسيرة الذاتية معا، وتتنوع

[1] – عائشة يحي الحكمي: السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعوديةفي مرحلة الطفره(1390هـ-1418هـ).دار كنوز المعرفة العلمية،ط1،ص32

[2] –مُحَمَّد العباس: حداثة مؤجلة.مؤسسة اليمامة الصحفية،الرياض،ع59،نوفمبر 1998، ص95

في استخدام الصوت الثالث من أجل التحكم في حلقة من حلقات السرد »[1] فرواية السيرة الذاتية لا تبتعد كثيرا عن السيرة الذاتية من حيث سرد الأحداث وروايتها وعلاقتها من حيث الزمان والمكان.

3- السيرة الذاتية الروائية

يعرف "عبد الله إبراهيم" السيرة الذاتية الروائية بأنها « ممارسة ابداعية مهجنة من فنين سرديين معروفين السيرة والرواية، لا يقصد بالتهجين معنى سلبيا، إنما التركيب الذي يستمد عناصر عن مرجعيات معروفة، وإعادة صوغها وفق معايير مغايرة »[2] هذا التهجين هو مزج بين الرواية والسيرة الذاتية معتمدة في ذلك على ضمير المتكلم القائم بين الروائي المتخيل والروائي الحقيقي، وغالبا ما تكون السيرة الروائية منطوية على مواضيع الجسد والاحتفاء به، ويكون هذا الاحتفاء معارضا لجملة من الطابوهات والمعايير الأخلاقية والثقافية، حيث شهد الأدب العربي أو الأدب السيري بالكثير من هذه السير الروائية مثل "بيضة النعامة" "لرؤوف مسعد" ورواية "خطوط الطول خطوط العرض " لعبد الرحمان مجيد" وحتى" الخبر الحافي"" لمحمد شكري"، حيث هذه الأخيرة انتهكت العرف الموروث بكل معنى الكلمة، فهي رواية معاناة إنسان رافض الاستعمار والقمع، عاش في أسرة فقيرة لأب متسلط ظالم غير مسؤول يعنف أسرته يقول شكري عنه «أبي يعود كل مساء خائبا، نسكن في حجرة واحدة (...) إن أبي وحش» [3]وكان له أم تؤمن بالشعوذة والسحر تذهب إلى أضرحة الأولياء وتشعل لهم الشموع، وهي من تعيل الأسرة «عادت أمي تبيع الخضر والفواكه في

[1]- فايز صالح قاسم عثمانة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية(دراسة في البناء والتقنيات).أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها/نقد وأدب،جامعة اليرموك،اربد،الأردن،2010،ص25

[2]- نعيم بن احمد: سوسيونصية السرد في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري.أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي ،جامعة مُحَّد بن خضره، بسكرة ،الجزائر ،2010-2011،ص10

[3]- مُحَّد شكري: الخبز الحافي(سيرة ذاتية)، ص12

حي "الطرانكات". أبي يستلذ البطالة في ساحة "الفدان" [1] ما دفع الابن أي بطل القصة الى العنف والانحراف فيقول «أدخن الكيف والسجائر في الخفاء حين أتسخر لأحد زبناء المقهى يعطيني "سبسيا" من الكيف أو كأس خمر أو قرصا من معجون الحشيش»[2].

نفهم من هذا أن السيرة الروائية هي سيرة ذاتية في الأصل وإنما طريقة سرد أحداثها تكون في قالب روائي، مع البقاء أو الحفاظ على شرط الواقعية والتطابق وميثاق السيرة الذاتية.

المبحث الرابع : مسارات الرواية السيرية في الأدب الجزائري

سنحاول في هذا المبحث بيان الروايات الجزائرية الحاملة للطابع السيري، وهذا من خلال مرحلتين عهد الاستعمار، وعهد الاستقلال، وكانت الأولى أميل لتوظيف اللغة الفرنسية في التعبير خلافا للمرحلة الثانية التي كانت تكتب باللغة العربية.

1-الرواية الجزائرية في عهد الاستعمار

لقد مرت الجزائر بمرحلة صعبة وحساسة من تاريخها، حيث كان للمستعمر الفرنسي بصمته الراسخة، كان استعمار بمعنى الكلمة، استعمار مادي تمثل في الفقر والجوع، واستعمار معنوي وفكري تمثل في طمس الهوية والدين والفكر والثقافة، إلا أن الشعب الجزائري رفض المذلة والمهانة، وإن كانت تنعدم لديه الوسائل والأسلحة، حارب بالقلم، فتجسدت كتاباته في الشعر والنثر، حين كان ذلك السياق التاريخي في الجزائري آنذاك ملائما لأن تأخذ الرواية طابعا سيريا لأنها كانت تعكس الواقع الذي عايشه الفرد الجزائري، كما كانت معظمها عبارة سيرة ذاتية وإن لم يصرحوا بها لأنها كانت تعبر عن مواضيع تلخص حياة فرد أو حياة مجموعة من الأفراد.

[1] – المرجع السابق. ص29.

[2] – المرجع نفسه. ص30.

وبحكم أن الجزائر حكمت أو استعمرت ما يقارب قرنا وإثنان وثلاثون سنة، فكانت الألسنة الكتاب الجزائريين ناطقة باللغة الفرنسية، حيث أن القضاء على اللغة العربية كان من متطلبات فرنسا الأولى، وكون الروايات جاءت بلسان فرنسا» احتلت مكانا ملفتا، مما حدا بفرنسا إلى تشجيع أصحاب تلك الروايات بتكريمهم وإن كان في الحقيقة تكريم وصولي- إن صح هذا- لأنه ليس تكريما لهؤلاء الروائيين أمثال مولود فرعون، كاتب ياسين، مالك حداد، بقدر ما كان تشجيعا للغة الفرنسية في أرض الجزائر أو إيهاما بإيجابية الاستعمار» [1].

فالبرغم من أن اللغة الفرنسية طغت على كتابات كل هؤلاء الروائيين إلا أن لب مواضيعها أوهمهم الكامن وراء الكتابة هو الدفاع عن الجزائر وايصال صوتها وعرض قضاياها في المحافل الدولية، وابراز معاناتهم وألامهم التي عاشوها مع المستعمر، وفي هذا سنحاول أخذ أمثلة عن بعض الكتاب ورواياتهم وما احتوت عليه في الجدول التالي، حيث صنفها النقاد في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

جدول لأهم الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:[2]

الكاتب	أهم أعماله الروائية وسنة نشرها	موضوع الرواية
مُحَّد ديب	الدار الكبيرة 1952 الحريق 1954 النول 1957	الحريق والدار الكبيرة تناولت كل منها الواقعة الاجتماعي بعادته وتقاليده. أما النول، فقد تناولت تسريحة واسعة من المجتمع التلمساني أثناء الاستعمار (خاصة عمال الغزل والنسيج).
مولود	إبن الفقير 1950	تناول الكاتب حياة الفلاح الفقير الذي يشقى دون أن يحصل على

[1]-مليكة ضاوي: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية(1995-2005).دراسة موضوعية فنية،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري،جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، 2014-2015،ص 34.

[2]-المرجع نفسه. ص 46-47-48.

فرعون	الأرض والدم 1953 الدروب الوعرة 1957	مقابل نظرا لاستيلاء الغزاة على وطنه وأرضه. أما رواية الأرض والدم فقد حازت على جائزة الأدب العربي الشعري في فرنسا. وقد تناولت الرواية الأخيرة النواحي الاجتماعية وقضايا الدين والتنصير.
مالك حداد	رصيف الأزهار لا يجيب 1961	تصور الرواية: الشاعر الجزائري خالد بن طوبال الذي هاجر إلى فرنسا فتنقسم نفسه بين عشيقته الفرنسية وزوجته العربية . تغلب عليه نزعة الوطن بعد فوات الأوان.
مولود معمري	الهضبة المنسية1952 سبات العادل 1956 الأفيون والعصا 1965	تناول الروائي في الأولى: واقع المجتمع القبائلي مع المستعمر الفرنسي. وفي الثانية الثورة واحتضان الشعب لها. وفي الثالثة: أهمية الحرية في حياة البشر والدعوة لها والنضال ضد كل أشكال العذاب والاضطهاد.
كاتب ياسين	نجمة 1956	يبدو فيها التأثر الكبير بتقنيات السرد الروائي الغربي اعتبرها الكثيرون لرواية تمثل عصر الرواية الحديثة وتيار الوعي. تتناول السيرة الوطنية والنضال التاريخي لشعب بأكمله.

ما نفهمه من خلال الجدول أن معظم هذه الروايات وإن لم تكن سيرة شخص واحد، فكانت سيرة وطن، سيرة شعب بأكمله، عكست فيها حياة بلد مستعمر من طرف بلد مستبد مثل فرنسا، وبؤس المعيشة والظروف، وللايضاح أكثر سوف نأخذ رواية "إبن الفقير" "لمولود فرعون"كمثال

إذ أردنا تصنيف هذه الرواية يمكننا أن نقول أنها رواية السيرة الذاتية؛ لأنها اقترنت بأحداث وأماكن حقيقية، حيث استطاع الكاتب فيها المزج بين الواقع والخيال «كما اعتبرت رواية رأى فيها النقاد منذ ظهورها عدة أبعاد، أهمها بعد السيرة الذاتية بحيث يجد القارئ مبررات ذلك، بكل سير من خلال حياة فورولو منراد الشخصية الرئيسية للقصة» [1]هي رواية تسرد السيرة الذاتية الكاملة لكتابها مولود فرعون من «قرية في جبال منطقة القبائل في بداية القرن العشرين، هي مسرح الأحداث، حيث تعيش عائلة منراد التي لا تدرك فقرها لأنهم بمنتهى البساطة مثل الالاف من الأسرى يعود مولود فرعون في رحلة عبر الزمن ليروي سيرته الذاتية تشاهد معه الدروب الوعرة التس سلكها لغير قدره ومصيره قدر لم يكن ان يسمح له سوى ان يكون راعي اغنام او فلاحا بائسا "ابن فقير" تحكي عن نوع خاص من التحدي والرفض لواقع أليم نعم انه تحد عظيم بين واقع مخيف وراءه عزيمة لاتلين»[2]

وهنا نجد بأن مولود فرعون كاتب القصة «من مواليد الثامن (08) من شهر مارس سنة ألف وتسعة مائة وثلاثة عشرة ميلادي (1935) بتيزي هبل بولاية (تيزي وزو) وهو ابن فلاح، وكان الاسم الحقيقي لعائلته هو (آيت شعبان) »[3]كما وظف «كمعلم بمسقط رأسه عام ألف وتسعة مائة وخمسة وثلاثون (1935) »[4] وإذا ما عدنا إلى بطل القصة منراد من مواليد «ولدت في العام المبارك 1913 » [5]وحتى هو الآخر« معلم متواضع في قرية بمنطقة القبائل»[6]

وفي الرواية إشارة إلى كنية عم وأب البطل منراد هي نفسها كنية المؤلف "مولود فرعون" «عمي وأبي يحملان السمي رمضان ولونيس، غير أنه في الحي إعتادوا أن ينادوا باسم "أبناء شعبان"»[7]

---

[1]–فريدة بوعليط: رواية ابن الفقير.تر: عبد الرزاق عبيد.دار تلاتيقية،بجاية، 2013، ص 8.

[2] - مولود فرعون: ابن فقير.تر:نسرين شكري، لمركز القومي للترجمة،ط1، 2014، الغلاف

[3]–بن علي لونيس: تفاحة البربري(قراءات نقدية مفتوحة).(د ط)، منشورات فيسرا، 2012،ص 183.

[4]–المرجع نفسه،ص 184.

[5]–مولود فرعون: ابن الفقير.تر:نسرين شكري.ص 29.

[6]–المرجع نفسه. ص73

[7]–المرجع نفسه. ص13.

كما اهتم "مولود فرعون" في هذه الرواية على إبراز صورة المجتمع الجزائري القبائلي، وكذا صورة الرجل والمرأة والطفل في منطقة القبائل ومواجهاتهم للاستعمار والحياة بكل تفاصيلها و جزئياتها، ورصد صور الفقر والحرمان الذي فرضته فرنسا على الجزائر فيقول « كتبت ابن الفقير في سنوات الحرب المتشحة بالسواد، على ضوء قنديل زيت، ووضعت في هذا العمل أفضل ما بداخلي»[1] ما يتضح لنا من هذه الرواية، أن مولود فرعون رسم صورة الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار من خلال بطل قصة فورولو منراد.

2-الرواية الجزائرية ما بعد الاستقلال

أما إذا ما عدنا إلى الرواية الجزائرية ما بعد الاستقلال، نجد للغة العربية حضورا حيث تأخرت عن الظهور في الساحة الفنية إلى غاية السبعينات، إذ تعتبر رواية "ريح الجنوب " 1971" لعبد الحميد بن هدوقة" «أول رواية جزائرية ناطقة بلسان الأمة: اللغة العربية»[2]

إن الروايات التي كتبت بعد الاستقلال لم تخلوا من إشارات إلى الواقع، أو ماعاشه الجزائري خلال الاستعمار أو ما خلفه، وصولا إلى فترة التسعينات، هي الأخرى اعتبرت فترة مأساوية في تاريخ الجزائر، حتى أنها سميت بالعشرية السوداء نظرا للأحداث التي وقعت فيها، كما أثرت في عقول المفكرين والكتاب الجزائريين، ولم تخلوا كتاباتهم، من أحداثها ومن أبرز الكتاب الذين برزوا بعد الاستقلال كثيرون نذكر منهم: "الطاهر وطار" "اللاز" 1974، "الزلزال" 1974، "الحوت والقصر" 1978، "عرس بغل" 1983، "العشق والموت في زمن الحراشي "1982، "تجربة في العشق" 1989) وكذا الروائي "واسيني الأعرج " "مملكة الفراشة"، "سيدة المقام مراثي الجمعة الحزينة"، "أنثى السراب" ، "ذاكرة الماء محنة الجنون العاري"، "شرفات بحر الشمال"، "السيف الأندلسي"،"طوق الياسمين") وغيرهم من الروائيين الذين أبدعوا في تصوير الجزائر ومشاكلها من خلال أبطال رواياتهم الذين تمثلوا في رجال وأطفال وحتى نساء، حيث صورت المرأة في الرواية الجزائرية عدة صور كانت رمزا

[1]-المرجع السابق. الغلاف.

[2]-عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث(تأريخاوانواعهاوقضايا وأعلاما).ديوان المطبوعات الجامعية،ط2،2009، ص 156.

للوطن والأم والحبيبة، إذ مثلها الجسد الذي كان الوسيلة التي استعملت للتعبير عنها والتي صورت العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية بحيث لم تختلف المرأة عن الرجل من حيث الطرح، بل من حيث تمثيل الإحساس الخاص اتجاه بعض القضايا، كما أن شخصية المرأة في النماذج القصصية و الجزائرية كانت تعكس صورة المجتمع الجزائري قبل الثورة و بعد الاستقلال. استقلت المرأة هي الأخرى في التعبير عن ذاتها وعن مجتمعها من بينهم الروائية فضيلة الفاروق، آسيا جبار، زهور أونيسي وأحلام مستغانمي.

كانت رواياتهم تتناول دور المرأة في المجتمع وكذا طغيان الرجل عليها ومحاولة طمس فاعليتها، كما عبرت عن سيرهم وعن سيرة المرأة بصفة عامة سواء في المجتمع الجزائري أو العربي، كما كسرت كل الطابوهات والممنوع في المجتمع العربي مثل رواية "تاء الحجل" "لفضيلة الفاروق" هي رواية «تتناول قضية اغتصاب النساء في المجتمع العربي بصفة عامة أثناء العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر سنوات التسعينات من القرن الماضي، حيث تميزت هذه الرواية بجرأة لم يعتد عليها في الوطن العربي حيث كسرت فضيلة الفاروق كل الطابوهات المسكوت عنها في المجتمع العربي »[1]

وحتى رواية "يوميات مدرسة حرة" ل"زهور أونسي" هي سيرتها الذاتية حيث جاءت بضمير الانا وقد اعترفت بهذا في قولها «بأن ما أعرضه في هذه المذكرات الموجزة والصريحة والمباشرة ما هو إلا لقطات سريعة لرواية تاريخية هامة عشتها بنفسي، وساهمت في بعض جوانبها بجهد مناضلة أحيانا ومعلمة أحيانا أخرى أو بهما في بعض الأحيان»[2]حيث كانت بطلة القصة لها دور في النضال الثوري «وإذا واجهت جبهة التحرير الوطني أمرا، فلا جدال ولا نقاش فيه بل التنفيذ هو مهمتنا، دون زيادة أو نقصان»[3]وهذا ما يدل على دور المرأة أثناء الاستعمار الفرنسي ونضالها ووقوفها جنب الرجل في البحث عن الحرية.

[1] -مقتبس من موقع ويكيبيديا: WWW.WIKIPEDIA.ORG

[2] -زهور ونيسي: من يوميات مدرسة حرة.الشركة الوطنيةلنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007،ص15.

[3] -المرجع نفسه. ص99

كما لا ننسى روايات أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد"، "فوضى الحواس"، "عابر سرير،" "الأسود يليق بك"، "نسيان COM"، كل هذه الروايات عبرت عن الجسد، الوطن، الحب، السياسية، والدين وحتى الاستعمار.

- **ذاكرة الجسد**

رواية تم نشرها ف ي عام 1993 وهي أول روايات الكاتبة وحصلت على عدة جوائز، تدور أحداث الرواية حول رسام فقد ذراعه أثناء الحرب ووقع في غرام ابنة صديقه المناضل الجزائري الذي قتل في حرب التحرير الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، إلا أن الفتاة مغرمة برجل عسكري في الحكومة الجزائرية لكنها تواجه مشكلات جراء التقاليد والعادات في مجتمعها، ترجمت الرواية إلى اكثر من لغة.

- **فوضى الحواس**

رواية نشرت لأول مرة في عام 1997، هي تكملة لرواية ذاكرة الجسد حيث البطلة نفسها التي تعيش الأحداث في فترة التسعينات وتعيش صراعا مابين زوجها العسكري وأخيها الذي ينتمي إلى إحدى الجماعات الإسلامية.

- **نسيان COM**

من أروع ماكتبت أحلام مستغانمي، تم نشرها لأول مرة في عام 2009، تتحدث فيها الكاتبة عن المرأة وماتتعرض له من قصص الحب الخاسرة وطرق التخلص من آثار هذه القصص على المرأة، تمزج الكاتبة بين الجدية والطرافة في الكتابة وهذا هو سر نجاح الكتاب.

- **عابر سرير**

رواية، نشرت لأول مرة في عام 2003، وهي الجزء الأخير من سلسلة ذاكرة الجسد، وتدور أحداثها حول مصور صحفي يلتقي بأبطال الرواية السابقة في فوضى الحواس في نفس المكان الذي كانت تدور حوله الأحداث وتنتهي الرواية بموت بطل ذاكرة الجسد

- **الأسود يليق بك**

«رواية تم نشرها لأول مرة في عام 2012، تدور احداث الرواية حول قصة حب بين رجل لبناني مليونير في عقده الخامس ومطربة جزائرية في عقدها العشرين ويحاول الرجل بكل الطرق أن يحظى بحبها»[1]، ما يلاحظ من روايات أحلام مستغانمي أنها كسرت كل الحواجز وتكلمت عن مواضيع ممنوعة أو غير مسموح بكتابتها في وقت مضى في الاستعمار أو حتى بعد الاستقلال المجتمع الجزائري مجتع محافظ ومتدين، يؤمن بالعادات والتقاليد، كما يضع للأعراف حسبان.

كما اعتبر روايات سيرية تحدثت فيها الروائية عن أشخاص حقيقين وحتى عن نفسها والدليل على ذلك مثلا في رواتيها "الأسود يليق بك" سردت قصة حب لرجل لبناني وشابة جزائرية مطربة في مقتبل العمر، فإذا ما عدنا إلى حياتها الحقيقية نجدها هي نفسها كانت فنانة وشاعرة ومذيعة حيث اشتركت مع بطلة القصة في الفن، كما تزوجت أحلام هي الاخرى بصحفي من جنسية لبنانية «تزوجت أحلام مستغانمي من صحفي لبناني وانتقلت حتى تقيم مع زوجها في مدينة باريس، وكرست حياتها في تلك الفترة إلى أسرتها فقط»[2]، كما أتت الرواية على ذكر أحداث معروفة والتي حدثت فعلا في الثمانينات، عانى منها السوريون كثيرا حين تقول "لقد عاشت أمها الفاجعة نفسها سنة 1982 يوم غادرت وهي صبية مه والدتها وإخوتها حماه لتقيم لدى اخوالها في حلب، ما استطاعوا

[1] –نادية راضي: أفضل مؤلفات أحلام مستغانمي،23- 08- 2014، WWW .Almrsal.com.

[2] –ريهام عبد الناصر: حياة أحلام مستغانمي الشخصية، 28-9- 2018، www.ALmrsal.com.

العبش في بيت ذبح فيه والدهم، وهم مختبئون تحت الأسرة»[1] لقد حصرت مدينة حماه السورية جراء الظروف الاقتصادية والسياسية التي ولدتها مشحنات الولايات المتحدة الأمريكية وسقوط جماعات الإخوان المسلمين.

وحتى روايتها "ذاكرة الجسد" اعتبرت هي الاخرى سيرة ذاتية تناولت «حوارا ذاتيا بين بطل الرواية "خالد بن طوبال" كما رسمته الكاتبة وشخصيتة حقيقية في الحياة "الفنان زيان" وهو رسام جزائري نالت رسومه شهوة في باريس حيث اعتزل النضال يعد إصابة ذراعه بعطب واستئصالها»[2] والإشارة الثانية الدالة على أن الرواية سيرية هي الفضاءات الموجودة في الرواية حيث تعتبر أماكن حقيقية موجودة في الواقع تمثلت في دول ومدن معروفة مثل قسنطينة، تونس، باريس، تأخذ أمثلة منها :"يا قسنطينة الأثواب، يا قسنطينة الحب والأفراح"[3]،هذا المقطع يدل على ما مدى حب الروائية لمدينة قسنطينة لأنها تعتبر منبت جذورها.

ما نستنتجه من خلال هذا المبحث أنه، ولو اختلفت الكتابة ما بين العربية والفرنسية، وما بين الذكر والأنثى، ومع اختلاف الزمن، تبقى الرواية الجزائرية عاكفة على إبراز حب الراوي وتأثره بظروف الجزائر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

[1]-أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك.نوفل،بيروت، لبنان،(د ط)، 2012، ص 194.

[2]-عبد اللطيف الأرنؤوط: أحلام مستغانمي(مرافئي إبداعية في الثقافة والادب).الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1434،1 هـ-2013م، ص17

[3]-أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد.دار الأداب،بيروت،ط 5، 2000، ص13.

الفصل الثاني

مقومات النص السيري

المبحث الأول: العقد أو الميثاق

المبحث الثاني: التطابق

المبحث الثالث: الدوافع

المبحث الرابع: الصراع

المبحث الخامس: الحقيقة والخيال- الصدق والصراحة

تمهيد

تقوم السيرة الذاتية باعتبارها جنسا أدبيا مستقلا وقائما بذاته، على مجموعة من الأسس والعناصر والمقومات، تجعله متميز عن غيره من الفنون، هذه العناصر كامنة في أعماقه، فاذا غابت عنه انتفى طابع السيرة الذاتية وأصبح رواية متخيلة أو جنسا آخر. هذه المقومات حددها الباحثون وأجملوها في ما يلي: (العقد أو الميثاق، التطابق، الدوافع، الصراع، الحقيقة والخيال والصدق والصراحة) فمن خلال هذه العناصر نستطيع جمع النص السيري ومقارنته بالواقع والتاريخ، وكأنها أشبه بالمادة الخام التي تتكون منها السيرة الذاتية، لذلك سنعمل في هذا الفصل على إبراز هذه العناصر بالتمثيل.

المبحث الأول : الميثاق

يعتبر الميثاق عنصرا أساسيا من عناصر مقومات النص السيري وهناك ثلاثة أنواع من الميثاق: ميثاق السير الذاتي، الميثاق الروائي، الميثاق المرجعي.

1-الميثاق السير ذاتي

الميثاق السير ذاتي يعتبره الكاتب(عقدا) على نفسه يوجهه للقارئ يتضمن أن ما سيسرده في نصه حقيقة حياته الشخصية، تقول "أمل التميمي" انطلاقا مما جاء به "فيليب لوجون" « تحديد هوية النص بأنه سيرة ذاتية من خلال النص ذاته دون اللجوء إلى عوامل خارجية لإثبات هذه الهوية »[1]، هذا يوضح الفرق بين السيرة الذاتية كجنس مستقل عن الأجناس الأدبية الأخرى المشابهة لها في تمويه هوية المؤلف والسارد والشخصية، وهذا النوع من الميثاق يمكن ان نكتشفه من خلال ثلاثة مواضع : العنوان، الإهداء، المقدمة.

[1]- أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر.المركز الثقافي العربي،ط1،1994ص45.

أ- العنوان

العنوان نقطة تشويقية ومفتاحا يساعدنا على الدخول إلى النص، دون تكلف أو عناء حيث يكشف لنا إذا ما كان المؤلف هو نفسه السارد وحتى الشخصية البطلة وهذا ما يرجع إليه بعض المؤلفين مثل "احمد أمين" الذي أسمى روايته بـ"حياتي "وهذا دليل قاطع لا شك فيه أن الرواية هي نفسها سيرته الذاتية أو حياته الشخصية بمعنى أدق .

ب الإهداء

يعد الاهداء عتبة نصية تسهم في إنارة فحوى النص، حيث يوجه فيه المؤلف غالبا تحياته وسلامه إلى اعز الناس عليه مثل والديه، أو زوجته، أو أبنائه مثلما فعل"مرزاق بقطاش" في روايته "طيور في الظهيرة " قال « إلى المغفور له والدي كان أميا ولكنه علمني أن أقدس العربية »[1] وإذا ما عدنا إلى الرواية نجد بأن والد الطفل مراد بطل القصة أيضا كان أميا وهذا ما اعترف به مراد في وسط الرواية بأن «والده لا يعرف حتى كتابه اسمه» [2]هذا يثبت لنا بان أب مراد هو نفسه أب "مرزاق بقطاش" المؤلف للرواية .

ج- المقدمة

تعتبر صورة أو مرآة عاكسة لنفسية المؤلف وعواطفه الحقيقية، إذ يمكن فيها الكشف عن الأسباب والدوافع التي جعلت المؤلف يكتب سيرته أو حتى المشاكل والعراقيل التي واجهتته في كتابتها.

[1]- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة.الجزائر،1976،الاهداء

[2]- المرجع نفسه. ص60

2- الميثاق الروائي

يختلف الميثاق الروائي عن الميثاق السير ذاتي حيث « ينعدم فيه التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف واسم الشخصية في النص والإقرار بالطابع التخييلي »[1] مثل رواية "مرزاق بقطاش" حيث جاء اسم الشخصية البطلة باسم أخر وهو "الطفل مراد"« وبادر مراد....»[2]، أي أن الميثاق الروائي يغير بعض التفاصيل الكامنة في حياة الكاتب لدى ترجمتها في الرواية.

3 - الميثاق المرجعي

يعتبر هذا الميثاق حسب ماجاء به "فيليب لوجون" أنه « التشابه مع الحقيقي والاقتراب منه إلى الدرجة التي تدنني بالأطراف إلى حالة من الاتحاد»[3]، أي أن هذا الميثاق يكون صريحا وضمني،كما يحدد لنا مدى التشابه بين النص والواقع.

المبحث الثاني :التطابق

في أي عمل أدبي أو بالأحرى الروائي منه يجب أن يتوفر على ثلاثة عناصر، لهندسة معمار النص وترك اثر في نفسية القارئ وتفاعله مع الكاتب والتعايش مع ما عاشه وهذه العناصر تتمثل في (الشخصيات،الزمان ، المكان) حيث هناك شرط يغلب على هذه العناصر ألا وهو التطابق بين الواقع المعاش للكاتب وبين القصة المروية داخل متن الرواية .

[1]- إسراء سالم الخزاعي: السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب.أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها،جامعة القادسية،1438 هـ_ 2017م،ص34

[2]- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة.ص26

[3]- جابر عصفور: زمن الرواية. المدى، دمشق، سوريا، ط1، 1999، ص191

1- الشخصية

تعتبر الشخصيات العمود الفقري في العمل الروائي كما تشكل المحور الرئيسي في نجاح العمل الفني بواسطتها يستطيع الروائي إبراز الأحداث وسيرورتها، ويصعب تصور رواية أو سيرة أدبية دون شخصيات، يعرفها "إبراهيم فتحي" على أنها «مجملا لسمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي، وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية ولها في الأدب معان نوعية أخرى وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة أو رواية أو مسرحية »[1]كما هي « التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام في الدراما أو الرواية أو أي أعمال أدبية أخرى[2] » أي أنها هي المفتاح لأي عمل أدبي من خلاله يتم فهم القصة والغاية منها.

يعتبر "فيليب لوجون" التطابق الشرط الأساسي الثاني في كتابة السيرة الذاتية فيقول «فلكي تكون هناك سيرة ذاتية أو أدب شخصي بصفة عامة يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية »[3] أي أن السارد او الشخصية الرئيسية، هو ظل لشخص واقعي ألا وهو الكاتب، أو يتركز السرد عليه لأنه هو الأداة الناطقة للسيرة.

كما يجب على الشخصية السيرية، أن تكون شخصية حقيقية واقعية غير متخيلة من أجل اقناع القارئ، وهذا ما عملت به الروائية "زينب الغزالي " في كتاب سيرتها الذاتية "أيام من حياتي " بكل مصداقية متحدثة عن ذاتها متحدية في ذلك نظرة المجتمع وقساوته وظلمه، لابراز مكانة وحق

[1]-إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية.ص21

[2]- المرجع نفسه. ص 21

[3]-فيليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي). ص24

المرأة العربية المسلمة، حيث هي الشخصية البطلة والكاتبة وحتى الساردة إذ صرحت بهذا في مقدمة الكتاب قائلة « نازعتني فكرة الكتابة عن أيام من حياتي وترددت كثيرا»[1] محاولة في ذلك تلخيص بعض السنوات من حياتها لكي تكون عبرة لغيرها « وأرجو من الله أن يعينني على استعادة الصورة او بعضها وان تكون للمخلصين مشعل حق ونور وهداية».[2] تحدثت زينب في روايتها عن سبع سنوات مليئة بالعذاب والقهر والسجن والتعذيب إلا أنها كانت صابرة مكافحة « اعتقدت انه بمحاكمتي انتهت المتاعب بالنسبة لي، ولكن فوجئت بأنهم يستدعوني للتحقيق مرة أخرى في المكاتب[3]».

تعتبر شخصية "زينب الغزالي" شخصية ذكية مؤدبة، رمز الطموح والكفاح، شخصية رافضة للظلم والكبح، محاربة للشر، عازمة على تطهير بلاد الإسلام من الطغاة والحاقدين على الإسلام والمسلمين،كما هناك شخصيات أخرى تمثلت في شخصيات دينية وسياسية كان لها دور في حياة "زينب" سواء بشكل سلبي و ايجابي وبالتالي نجد تطابقا بين الساردة وشخصية "زينب" الفعلية الحقيقية.

2- الزمان

إن الشخصية لا يمكن أن تقوم أو تحيا خارج الزمن والتاريخ فهي محكومة بالزمن والزمن محكوم بالواقع، وهو أيضا عنصر من عناصر السيرة الذاتية إذ هناك ثلاثة أزمنة(الماضي، الحاضر، المستقبل)

[1]-زينب الغزالي: أيام من حياتي.دار التوزيع والنشر الاسلامية،1999،ص2

[2]- المرجع نفسه. ص9

[3]- المرجع نفسه. ص94

ويعرف الزمن بأنه لغة«العصر واسم لقليل الوقت وكثيره ،ج:أزمنة ومن ولاية الرجل ومن حياته »[1]أما إذا جئنا للزمن من المدخل الفلسفي فإننا نجده «معضلة تستهوي الفلاسفة وهو ذلك الكيان الهلامي الإنساني الذي عرفه الإنسان من خلال توصيفات متعددة متباينة، تحولت وتطورت عبر تطور الوسائل المساعدة للوعي الإنساني وسمة الإدراك قرينة الوعي الإنساني، وان كانت تشير إلى مدخلات هذا الوعي، وتفاعلات الذات مع المجال الذي توجد فيه وهذا الوعي تحديدا هو ما أسهم في تقسيم الزمن إلى ثلاثة أقسام "ماقبل" "مابعد" وهي أقسام قابلة للوعي والإدراك عبر طرق مختلفة»[2]

قسم الباحثون في مجال سرديات الزمن إلى نوعين، زمن القصة وزمن الخطاب أو زمن السرد.

أ–زمن القصة

الذي يعد«زمن متعدد الأبعاد في ان واحد ففي القصة يمكن لأحداث كثيرة أن تجرى في أن واحد ،لكن الخطاب ملتزم بان يرتبها ترتيبا متتاليا يأتي الواحد منها بعد الأخر».[3]

ب–زمن الخطاب

زمن الخطاب أو كما يسميه البعض زمن السرد هو «يقدم من خلالها لسارد القصة، ولا يكون بضرورة مطابقا لزمن القصة »[4]. نفهم من خلال زمن القصة وزمن الخطاب انه يمكن للكاتب ان يغير مجرى الاحداث ويخالف ترتيبها ويؤخر ويقدم كما يشاء دون مراعاة لعامل الترتيب الزمني، ويكون الترتيب الطبيعي للأحداث كالأتي:

[1]– عبد الله البستاني: معجم الوافي.مكتبة لبنان ناشرون،ط2، 1990، ص263

[2]– هيثم الحاج علي: الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي.مؤسسة الانتشار العربي،بيروت،لبنان،ط1، 2008،ص17

[3]– نبيل حمدي شاكر: بنية القصة القصيرة.مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط1، 2013، ص156

[4]–محمد بوعزة: تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم).الدار العربية العلوم،الرباط،المغرب،ط1،2010،ص87

« حدث 1 ← حدث 2 ← حدث 3

حدث 2 ← حدث 3 ← حدث1

حدث 3 ← حدث 1 ← حدث 2 »[1]

هذا يسمى:

3_المفارقات الزمنية

التي « يمكنها ان تعود إلى الماضي أو الى المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة عن لحظة الحاضر، اي لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من اجل أن يفسح المجال لتلك المفارقة »[2]، تتمثل هذه المفارقات الزمنية في (استرجاع، استباق وحذف)

أ–الاسترجاع

عرف الاسترجاع على انه«من أهم الآليات السردية التي أظهرت في الأنواع السردية كافة ،سواء على مستوى استرجاع القصة كلها دون النظر الى الايهام بموازات الحاضر الزائف في بعض النصوص أو على مستوى إعادة ترتيب الأحداث وفق موقف يتخذه السارد ويتبناه في خطابه النهائي »[3]، فتقنية الاسترجاع يمكن بها للكاتب استدعاء أحداث حفرت في ذاكرته سواء مفرحة كانت أو محزنة ويصعب عليه نسيانها فيتذكرها بأدق تفاصيلها حيث يقسم الاسترجاع الى قسمين خارجي وداخلي.

[1] - محمد بوعزة: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم).ص88.

[2] – حميد حميداني: بنية النص السردي.ص75

[3] – هيثم الحاج علي: الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي،ص63

أ-1-الاسترجاع الخارجي

هو تقنية « يعود فيه الراوي إلى ماقبل الرواية »[1] أو ما قبل بداية أحداث الرواية أو السيرة الذاتية أو أي جنس أدبي وللتمثيل عليه نأخذ قول" زينب" « في مساء يوم من أيام الشتاء، وفي أوائل شهر فبراير عام 1964،كنت عائدة إلى بتي، حيث انقلبت بي عربتي»[2] ، ومنه جاء في هذا المقطع استرجاع لحادثة وقعت في زمن مضى قبل بداية زمن الحكي، فانقلاب العربة من ضمن الأحداث المؤلمة التي وقعت لزينب.

أ-2-الاسترجاع الداخلي

بينما الاسترجاع الداخلي هو استرجاع « يعود إلى ماضي لاحق لبداية الحكاية وقد تأخر تقدمه في النص»[3]أي يعتمد فيه الكاتب إلى « استرجاع أحداث ماضية ولكنها قريبة من زمن السرد وتقع في محيطه كأن يترك الراوي الحدث الحاضر لينتقل إلى حدث سابق »[4]، أي قد تأخر تقديمه في النص، من أمثلته من كلام "زينب" « لن أنسى تلك الليلة فقد كانت ليلة شديدة وقاسية ،إذ لم يكن فيها سياط،وأقول أننا حملة السياط »[5]، أي أن هذه الليلة واحدة من الليالي التي جرت فيها أحداث الرواية.

---

[1]- ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك.دارحامد للنشر والتوزيع،عمان،الاردن،ط1،2010،ص91

[2]-زينب الغزالي: ايام من حياتي .ص4

[3]- المرجع السابق. ص91

[4]- ضياء غني لفتة وعواد كاظم لفتة: سردية النص الأدبي.دار حامد،ط1،2011 ،ص54

[5]- زينب الغزالي: أيام من حياتي.ص،194

4- الاستباق

يتضاد الاستباق مع الاسترجاع، فإذا كان الاسترجاع يتعلق بالماضي فان الاستباق يتعلق بالمستقبل، فالاستباق « يدل على كل مقطع حكائي يسرد احداثا سابقة لأوانها أو يمكن توقع حدوثها وعلى المستوى الوظيفي، تعمل الاستباقات على تمهيد أو توطئة الأحداث لأحداث متوقعة الحدوث وحمل المتلقي على انتظارها»[1] إذ يعمل الاستباق على استشراف المستقبل وأحداثه كما يقسم هو الأخر إلى قسمين :

أ- الاستباق التمهيدي

هو توطئة يعود « الغرض منه التطلع إلى ما وراء هو محتمل حدوثه في العالم المحكي» [2] الغرض منه اعطاء لمحة عما سيحدث في المستقبل إلا أنه ليس بالضرورة تحققه، أي ممكن أن يحدث كما يمكن ألا يحدث، وكمثال عليه دائما نعود إلى رواية "زينب" «واني لأرى بوادر النصر وإرهاصاته إن شاء الله لقيام الأمة وعودة المجتمع الذي سيعلوا وبتوحيده فوق توليفات البشر »[3] هذه أمنيات الكاتبة بالنصر ومستقبل الأمة الزاهر ،وهذا استحضار لشيء لم يحدث بعد.

[1]-سعيد أبو عيطة: بنية الخطاب في رسالة التي.مجلة البيان، ع316، الكويت ،نوفمبر 1966،ص128

[2]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي.المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1، 1990 ،ص133

[3]-زينب الغزالي: أيام من حياتي.ص06

ب–الاستباق كاعلان

هو الإخبار عما هو قادم إذ يكون « الاخبار عن وقوعه صراحة وأخذ على عاتقة تحقيقه هذا الاعلان الذي صرح به في حاضر السرد »[1] مما يجعل الملتقي في حالة ترقب لما سيأتي من أحداث.

إن نظام الزمن هنا من استباقات واسترجاعات وعدم تطابق زمن القصة مع زمن الخطاب لا يعني انعدام التطابق، بل إن التطابق هنا يتعلق بالزمن الذي تقع فيه أحداث السيرة الذاتية والزمن الواقعي الذي عاشه السارد أو حتى لم يعشه والمهم أنه يكون تابعا للتاريخ والواقع .

5– الحذف

هو كذلك تقنية تعمل على تسريع السرد حيث يقلص زمن القصة من خلال حذف فترات زمنية معينة طويلة أو قصيرة ، يتغاضى عنها السرد دون التفاصيل حيث « يضطر الراوي أحيانا إلى تجاوز بعض الحلقات الزمنية والاستغناء عنها، إما لأنها غير ذات أهمية من السرد أو أن ذكرها مدعاة لاطالة سردية وبالتالي حدوث خلل سردي في النص، فلا نجد بدا من الاستغناء، عنها شرط ألا يخل هذا الاستغناء ، بالنظام الزمني ولا بالأحداث المعروضة فيشير إلى موقف الحذف »[2] ،اي أن الغرض منه تسريع وتيرة السرد. هو الأخر ينقسم إلى نوعين: الحذف المعلن و الحذف الضمني .

[1]– نبيل حمدي شاكر: بنية السرد في القصة القصيرة.ص198

[2]– محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي دراسة في الملحمة الروائية.عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012، ص188،189

أ-الحذف المعلن

هو الحذف الذي يصرح « ويعلن عن الفترة التي حذفت من السياق السردي »[1] هناك حذف معلن في رواية "زينب" تقول عنه « في ذلك اليوم البعيد المبارك 1358 هجري تقريبا وبعد مايقارب من ستة أشهر على تأسيس جماعة السيدات المسلمات ...»[2]

ب- الحذف الضمني

هو « حذف مسكوت عنه في مستوى النص وغير صريح به او بمدته فهو حذف مغفل نكتشفه ونحس به من خلال القراءة »[3] وفي هذا نجد "زينب" تحذف الكثير من الأحداث دون الإبلاغ أو التصريح عنها مثل « فاليوم الباشا سيذبحك...اخذ الأمر من جمال عبد الناصر...ماذا ستفعلين...» [4] ولا يخرج الحذف عن إشارتنا السابقة، أي لا بد أن يكون الحدث المحذوف أو الزمن المحذوف واقعي، سكت عنه كاتب السيرة لاعتبارات سردية خالصة.

6-الفضاء

لا يختلف الفضاء عن باقي المكونات الأخرى للسيرة الذاتية حيث يركز كاتب السيرة على توظيف الجانب الواقعي على تلك المكونات والفضاءات الواردة في روايته فهي أمكنة عاش فيها كالمدن والبلدان كما عرفته " يوري لوتمان"على انه « مجموعة من الأشياء المتجانسة من : الظواهر،

[1]- ضياء غني لفته.عوادكاظم لفتة: سردية النص الأدبي.ص59

[2]- زينب الغزالي: أيام من حياتي. ص12

[3]-عمر عيلان: في منهاج تحليل الخطاب السردي.منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا،(دط)،2008،ص137

[4]- المرجع السابق. ص121

المجالات و الوظائف أو الأشكال المتغيرة... علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال المسافة »[1] ويعرفه "الشريف حبيلة" بأنه « ليس حيزا جغرافيا هندسيا إنما هو حامل تجربة انسانية تعيش في ذاكرة كل انسان، يذكرها من حين الى اخر ويجدها المبدع في كتابته في كل أبعادها »[2]، يتبين من خلال هذا القول أن الفضاء ليس مجرد مجموعة زوايا مترابطة مع بعضها البعض بل هو قلب نابض بالأحداث التي عاشها الكاتب في ذلك المكان.

إذ يعد الفضاء مكونا من أهم المكونات خضوعا للمطابقة الكامنة بين السيرة وبين الواقع وهنا نميز بين نوعين من الفضاءات، فضاءات تاريخية وأخرى متخيلة، وكل واحد منهما قابل للتمفصل أيضا حيث الفضاءات التاريخية تكون محفوظة في الذاكرة التاريخية أو أنها محفوظة في الواقع فالروايات السيرية تعج بهذا النمط من الفضاءات مثل" الجزائر "، "بيروت "، "القاهرة" ، "برج ايفل " وهناك فضاءات الاجتماعية التي تشير إلى الفضاءات التي تجرى فيها أحداث الرواية لكن دون تحديد دقيق لها، فحينما نقول السينما أو الحديقة، فلم نذكر اسم السينما أو الحديقة ومع ذلك تبقى فضاءات حقيقية تطابق الواقع أما عن الفضاءات المتخيلة ليست بالضرورة أن يكون لها وجود كأن نقول مملكة الشيطان فنحن نتوقع هذا الفضاء وحقيقتة لكن لا وجود له في أرض الواقع وعادة ما يقسم الفضاء في المتن الروائي الى فضاء مفتوح وفضاء مغلق.

[1]- محمد بوعزة: تحليل النص السردي.ص99

[2]- حيبلة الشريف: بنية الخطاب الروائي .عالم الكتب الحديث،اربد،الاردن،ط1،2010ص190

أ–الفضاء المغلق

يعرف « الفضاء المغلق على أنه الفضاء الضمني المجرد، الذي تعد أبعاده هندسية وليس له قوة تعبيرية او بعد تأويلي، فهو عبارة عن مساحة خيالية يتصف بالمحدودية، حيث أن الفعل فيه لايتجاوز الإطار المحدود، ويجسد هذا الصنف من الفضاء ، صور الإمكانية متعددة مألوفة مثل : البيت، الغرفة، وتتميز هذه الصور بمميزات أهمها علاقات الألفة والدفء، والأمان، وقد تكون مميزات سلبية معارضة »[1] جاء في رواية "زينب" الكثير من الأماكن المغلقة منها السلبية والايجابية ولكل منها دلالتها الايحائية واثر على نفسية" زينب" مثل : المستشفى والسجن والبيت مثل « وبعد مرور وقت طويل أخذوني إلى المستشفى »[2] تمثل المستشفى رمز الألم والمعاناة يذهب إليها الناس أملا في الشفاء والعافية والتخلص من المرض والشعور بالراحة والأمان .

ب– الفضاء المفتوح

حيث «يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف ولاسيما إذا كان المكان المفتوح في أمكنة الشتات والمباني والمخيمات ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق ارتباطا وثيقا، لعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق الى المكان المفتوح ارتباطا وثيقا، لعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح دوافعا مع طبيعة الرغبة دائما في الانطلاق والتحرر وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح »[3]

[1]– عز الدين مناصرة: شهادة في الشعر.مجلةفضيلة،تصدرها الحافظية، ع1، 1990،ص38

[2]– زينب الغزالي: ايام من حياتي.ص167

[3]– حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية.مركز أو قاريت الثقافي،رام الله، فلسطين، ط1،2007،ص166

المكان المفتوح هو رمز الحرية والاندفاع والانطلاق، ومن بين الأماكن المفتوحة التي وظفتها "زينب" في روايتها تقول « كنت في ميناء السويس»[1] ميناء السويس مكان حقيقي معروف في مصر، وان قلنا ميناء نقول البحر فهو يدل على الكبر والاتساع والانشراح فبمجرد النظر إليه يريح القلب والنفس.

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن الشخصية والزمان والمكان عناصر فعالة بارزة في بناء الرواية وتلاحمها خصوصا إذا كانت حقيقية تتشابه مع الواقع الذي عاشه الكاتب تكون له نسبة كبيرة في الإقناع والتأثير وهنا يتحقق شرط التطابق في كتابة السيرة الذاتية.

المبحث الثالث : الدوافع

تختلف الدوافع لكتابة السيرة الذاتية، وتتعدد أسبابها باختلاف الحوافز التي تقف وراء كاتبها سواءا أكانت أسباب داخلية أو خارجية،كما قد تكون مجموعة من الأسباب وقد تكون سببا واحدا وراء كتابتها، كما قد يصرح الكاتب بذلك السبب أم لا يصرح، فهي تكتب نتيجة قضية أو موقف، أو مجتمع أو سياسية أو لتبرير، وبهذا فهي تكتب نتيجة لأسباب تختلف من شخص إلى أخر.

ومن الدوافع وراء كتابة السيرة الذاتية شعور الكاتب بمرض أو دنو أجله،كما قد يكتبها نتيجة لشعوره بالتميز والتفرد وفي هذا المقام تشير "تهاني عبد الفتاح" في كتابتها "السيرة الذاتية في الأدب العربي " قائلة « إن من أبسط الأمور التي تدفع الانسان إلى كتابة سيرته الذاتية، رغبته الفطرية بالخلود، وهذه الرغبة تشتد عنده عندما يشعر بالتفرد والتميز ففي هذه الحالة يقوى احساسه بأنه

[1]- زينب الغزالي: أيام من حياتي .ص 30

انسان يستحق البقاء وكذلك تشتد رغبته بالخلود اذا شعر بدنو أجله»[1] فقد أشارت "تهاني عبد الفتاح"إلى مسألة مهمة لفتت انتباهنا، وهي قضية التفرد والتميز فالكاتب يرى في تجربته أهمية بالغة لذا يحرص على كتابة حياته، او انه يريد أن يخلد نفسه في التاريخ فيلجأ الى كتابة سيرته.

ونضيف أيضا تجربة أخرى تفسر دوافع كتابة السيرة الذاتية مع " مصطفى نبيل " في كتابة "سير ذاتية عربية" يقول « فمنذ أن نقش الإنسان اسمه ورسمه على الحجر وهو يتوق إلى الخلود والإفلات من الفناء وعوادي الزمن، ويأتي تسجيل السيرة الذاتية كإحدى المحاولات على هذا الدرب فحينما يكتب صاحب السيرة حكايته، فهو في أعماقه يسعى إلى تخليدها »[2] ويتضح لنا من خلال هذا القول أن رغبة الإنسان في تسجيل سيرته الذاتية تمكن في الخلود حتى لا تفنى وتندثر وفي هذا الصدد يقول " مُحَّد شكري " في روايته "الخبز الحافي " لقد علمتني الحياة أن أنتظر أن أعي لعبة الزمن بدون أن أتنازل من عمق ما استحصدته قل كلمتك قبل أن تموت فإنها ستعرف حتما طريقها»[3]ونستنتج من هذا القول أن السيرة الذاتية تكتب نتيجة شعور الإنسان بدنو أجله أو شعوره بمرض أوفي مراحل متقدمة من عمره.

وقد يأتي الدافع كرد فعل على الاتهامات أو الدفاع عن النفس، وهذا ما نجده في سيرة "ابن خلدون" حيث نجده كتبها بغرض الرد على خصومه عندما شككوا في قدراته العلمية وقلة محصوله من العلم والعلوم، يقول " مُحَّد عابد الجابري " في كتابة العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في

[1]- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي.ص25

[2]- مصطفى نبيل: سيرة ذاتية عربية. دار الهلال،الاسكندرية،1992، ص5

[3]- مُحَّد شكري الخبز الحافي: سيرة ذاتية. ص8.

التاريخ الإسلامي) يقول « ولما كان الميدان الذي اختاره الخصوم هو الأهلية العلمية فإنه من الطبيعي أن يكون دافع صاحب "التعريف" مركزا حول هذه النقطة في البيت وهذا من شأنه أن يعرف المدافع عن نفسه عن الاهتمام بأحواله النفسية وتجاربه، ومعاناته الذاتية في حين أطال "ابن خلدون "الكلام وفصل القول في التعريف بأسرته وأساتذته وفي الإشارة إلى الكتب التي درسها، والانجازات التي حصل عليها والشخصيات العلمية والسياسية التي احتك بها أو تعرف عليها والمناصب التي شغلها سواء في الميدان السياسي أو العلمي أو الديني أوالمهمات والسفارات والاتصالات التي قام بها في المشرق والمغرب»[1] ومن خلال هذا القول نجد ان "ابن خلدون" كتب كتابه "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا " لبيان وتوثيق والتعريف بمكانته، وذلك من خلال التعريف بأسرته وأهم أساتذته التي تلقى عنهم العلوم، والكتب التي درسها وأهم المناصب التي تولاها في المشرق والمغرب .

وكذلك نجد كتاب "طه حسين" "الأيام " جاء كرد فعل على الأزمة التي وجهها والظروف القاسية التي عاشها، وذلك بسبب النقد الذي تلقاه عند صدور كتابه في "الشعر الجاهلي" فنجده « قد أفصح عن هذه الأسباب بوضوح وذلك حينما قال : هذا كتاب لم أدبر تأليفه ولم أفكر فيه وإنما دفعت إليه دفعا دفعتني إليه الظروف القاسية، ضقت فيها بالحياة في مصر فضاقت بي الحياة في مصر. كان ذلك حين صدر كتاب في "الشعر الجاهلي" وأثار الأزمة التي أثارها (...) فقد كان الضيق بالناس وبالحياة التي يحبونها وحياتي بينهم يلا زمني دائما، فلم أرى إلا وسيلة واحدة للهروب من هذا الضيق وهي أن افر من الحاضر إلى الماضي وللفرار من الحاضر الى الماضي، أمليت هذا

[1] – مُحَّد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية على التاريخ الإسلامي).مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان ،ط1، 2001، ص37

الكتاب (...) جعلت أمليه كل يوم وأملية لا أصلي كتابا ولكن من ظروف مضنية ثقيلة، وقد اكتمل هذا الكتاب في أسبوع أو أقل من أسبوع ...»[1]

وقد يكون دافع الأديب وراء كتابة سيرته الذاتية، تقديم تجربة مرة بها أو تصوير واقع مرة به في حياته الشخصية، وذلك عندما يحس بأنه موقف جدير يستحق أن يقرأ، وهذا مانجده في سيرة" عباس محمود العقاد " في كتابة "عالم السدود والقيود"، فهو يصور لنا حياة السجن دون أن نعيشها يقول « هذه الصفحات هي خلاصة مارأيته أو أحسسته وفكرت فيه يوم كنت أنزل عالم السدود والقيود، وأشعر به ذلك الشعور، وأنظر إلى العالم من ورائه ذلك النظر (...) هذه الصفحات خير دعواها أن أكفل للقارئ بأن يستعرض عالم السجن كما استعرضه دون أن يقيم هناك تسعة شهور كما أقمت فيه »[2] ويتضح لنا من خلال هذا القول أن "عباس محمود العقاد "كتب سيرته "عالم السدود والقيود" بغرض تقديم لنا تجربته مع عالم السجن ويصور لنا قسواته ومرارته، وهذا في رأيي يمكن اعتباره كنصيحة يجب اتخاذها بعين الاعتبار.

وقد تكتب السيرة الذاتية كذلك بدافع الحاح الأصدقاء، فيكتبها تلبية لطلبهم وارضاءا لهم وهذا ما صرح به "إحسان عباس" في سيرته "غربة الراعي" يقول « فاتحني عدد غير قليل من الأصدقاء في أن أكتب سيرتي الذاتية، فأخذ اقتراحهم يمثل هاجسا يدور في نفسي ويستثير ذاكرتي »[3] وهنا لا تتعلق كتابة السيرة بمؤثر داخلي كما سبق، بل بمؤثر خارجي .

[1] – ينظر:جليلة طريطر: مقومات السيرة الذاتية لأدب العربي الحديث(بحث في المرجعيات).ج2.1،مركز النشر الجامعي،تونس،ط1، 2004م، ص 348- 349.

[2] – عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود(سيرة ذاتية).دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط2، 1989، ص4_5

[3] – إحسان عباس: غربة الراعي (سيرة ذاتية).دار الشروق،عمان،الأردن،ط1، 2006م ،ص5

وتكتب السيرة الذاتية عند مايرى كاتبها أن حياته تصلح لأن تكون عبرة للآخرين فيكتبها بدافع تعليمهم وتوجيههم وارشادهم وهذا ما جاء في سيرة " فدوى طوقان" "رحلة جبلية رحلة صعبة "تقول « فلعل في هذه القصة خيط من الشعاع ينعكس أمام السارين في الدروب الصعبة،وأحب أن أضيف هذه الحقيقة وهي أن الكفاح من أجل تحقيق الذات يكفي لملء قلوبنا واعطاء حياتنا معنى وقيمة» .[1]

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن دوافع كتابة السيرة الذاتية تختلف من أديب لآخر وتتراوح بين مؤثرات داخلية تتعلق بالرغبة في تخليد الذات، أو أهمية السيرة في حد ذاتها، أو أنها تتعلق بمؤثرات خارجية كتلبية لرغبة الجمهور وتحقيق طلبهم فيكتب الأديب سيرته نتيجة لذلك.

المبحث الرابع : الصراع

لا يمكن للانسان أن يعيش حياته دون تقلبات واضطراب وألم وصراع يغير حياته من حال إلى حال، لذا نجد كاتب السيرة الذاتية حين يكتب سيرته، يقف على أهم وأبرز المؤثرات التي وقعت في حياته ويكشف لنا كيف تعايش مع هذا الصراع وما أحدثه من تغيير في نفسه سواء أكان الصراع مع ذاته، أو مع العالم المحيط به، اذ نجده يشكل محورا أساسيا في بناء السيرة الذاتية ويمنحها قيمتها الحقيقة، وسببا لوجودها .

فالسيرة الذاتية تتيح لكاتبها الفرصة بأن يفرغ ما يحويه وما يعانيه من اضطراب وقلق وحيرة، وما يجول بداخله من صراعات، فهي تعتبر الملجأ الوحيد الذي يمنحه الكشف عن هذه الصراعات وفي

[1]– فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة (سيرة ذاتية). ص9.

هذا المقام يقول "شرف عبد العزيز" السيرة الذاتية «تحقق لكاتبها التوافق والاتزان، إذ تيسر له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية والعليا من خلال ذكرياته والكشف عن حياته الباطنية وتأمل ذاته العميقة بما فيها من ثراء داخلي، يمثل عالما أصغر»[1]

لذا نجد الصراع يصور لنا حياة الإنسان ويطالعنا على دخائله، ويكشف لنا ما أحدث من تغيير في حياته وبهذا الصدد يقول " عبد الدايم يحي" في كتابة "الترجمة الذاتية في الأدب العربي" يقول « يطالعنا الكاتب من خلاله على دخائل نفسه وأثر احداث الخارج في حياته النفسية والشعورية والفكرية، مظهرا من خلاله ما ينعكس على مرآة ذاته من وقائع الماضي وأحداثه خير أكان أم شرا مراعيا في عرضها ما يطلعنا على مدى ما حدث في شخصيته من نمو وتحول وتغير على مراحل العمر المتعاقبة، ملتزما تواتر الأيام وتدرج التاريخ فإذا أخل بالترتيب الزمني ولجأ إلى سرد ذكرياته وتجاربه وانطباعاته الماضية في صورة ذكريات متقطعة غير مترابطة، خرج عن المفهوم الفني للسيرة الذاتية لأنه حينئذ لا يوقفنا على ما طرأ على الشخصية من تطور وتحول في مراحلها المتعاقبة وينتفي بذلك الترابط اللازم للعمل الأدبي »[2] ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن الصراع، يطالعنا على ما تحمله النفس من خبايا ومن أثر ويبين لنا ما أحدثه في النفس من تحول وتغير لذا نجد الصراع قد يكون ايجابيا يحدث في صاحبه روح التغلب على هذا الصراع والألم ويدفعه نحو التواصل والاستمرار، والتطور، والتقدم، والنمو، وقد يكون صراع سلبيا يؤدي بصاحبه إلى الفشل، ويشعره بالإحباط ويوقعه في متاهات اليأس، لكن شرط أن يصور لنا هذا وفق تسلسل وترتيب زمني لوقوع هذه

[1]- عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية . ص7

[2]- يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.ص 09

الأحداث لأنه اذا صور لنا هذا السرد على مراحل متقطعة خرج عن المفهوم الفني للسيرة الذاتية، ويلغي عنها الترابط اللازم للعمل الأدبي .

ونجد استمرار السيرة الذاتية، وبقائها مربوط بقوة الصراع وعمقه الداخلي أو شدة الصراع الخارجي وهذا ما يؤكده" احسان عباس" في كتابه "فن السيرة " يقول« أرى أن حظ السيرة الذاتية منوط بحظ صاحبها بنفسه من عمق الصراع الداخلي أو شدة الصراع الخارجي»[1] ونستنتج من خلال هذا ان الصراع صراعان، صراع داخلي وصراع خارجي .

1- صراع داخلي

وهو صراع نفسي روحي فكري ذاتي (صراع مع الذات) وهو الذي يصوره لنا الكاتب حين ينقل لنا تجربة، أو موقف، او حادث مر به ، ويطالعنا بكيفية التأثير على حياته، وهذا الصراع صورته" فدوى طوقان" في سيرتها " رحلة جبلية رحلة صعبة" فلقد حملت "فدوى طوقان" في نفسها الألم والمعاناة والصراع منذ طفولتها، وذلك من قبل نبعها الحنين التي رفضتها قبل مجيئها إلى الدنيا، وحاولت التخلص منها في العديد من المرات لكنها لم تنجح وهذا ما كانت تسمعه منذ صغرها تقول « خرجت من ظلمات المجهول إلى عالم غير مستعد لتقبلي، أمي حاولت التخلص من في الشهور الأولى من حملها بي، حاولت وكررت المحاولة، ولكنها فشلت، عشر مرات حملت أمي خمسة بنين أعطت إلى الحياة وخمس بنات، ولكنها لم تحاول الاجهاض قط الا حينما جاء دوري، هذا ما كنت

[1]- إحسان عباس: فن السيرة .ص98

أسمعه منذ صغري»[1] صورت لنا "فدوى طوقان" حجم المعاناة والحرمان التي كانت تعيشه، حرمان من حنان أمها التي رفضت حتى الاعتناء بها، ولم تكن تبالي بها، ولا بأمورها، فهي لم ستتفرغ حتى لتربيتها، فأوكلت رعايتها إلى فتاة تعمل في منزلهم، كل هذا الظلم الذي لاقته فدوى من قبل أمها ترك في نفسها أثر عميقا وجرحا لم تنساه حتى وفاة أمها تقول « وبقيت على مدى سنوات طويلة أراني في الحلم وجها لوجه مع أمي –حتى بعد وفاتها – هي صامتة وأنا يغمرني شعور بالقهر المكتوم وإحساس عنيف بالغيظ والظلم، أحاول الصراخ لأعبر لها عن ظلمها لي ولكن صوتي يظل مخنوقا في حلقي فلا يصل إليها»[2]

كذلك تصورنا لنا" فدوى طوقان "حرمانها من حنان أبيها الذي كان يريد ذكرا، وعلاقتها الباردة به فهي لم تكن على اتصال مباشر معه، فقد كان يكتفي بالسؤال عنها من قبل والدتها فقط وهذه أهم الصراعات الداخلية التي اعترضتها "فدوى طوقان" في سيرتها "رحلة جبلية رحلة صعبة "في العديد من المشاهد خصوصا في مرحلة الطفولة.

2–الصراع الخارجي

وهذا الصراع يصوره لنا الكاتب مع العالم الخارجي، قد يكون نتيجة للمحيط أو البيئة وقد يكون نتيجة لعادات وتقاليد يفرضها مجتمع ما، وقد يكون لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وهذا الصراع نجده ممثلا في معظم السير الذاتية، ومن معاناة "فدوى طوقان" مع المحيط والبيئة التي ترعرعت فيها، تصور لنا ما كانت تشعر به من معاناة ومهانة بسبب تلقيبها بالصفراء؛ وذلك نتيجة

[1]– فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة.ص 12

[2]–المرجع نفسه. ص22

لاصاباتها بحمى الملاريا تقول «وهكذا كنت أرفع وجهي إلى السماء ضارعة إليها أن تجعل لخدي لونا جميلا مشربا بالحمرة حتى يكفوا عن تسميتي بالصفراء والخضراء، فقد كانت تلك التسمية تجرح احساسي إلى درجة كبيرة ».[1]

ومن العادات والتقاليد التي عانت منها" فدوى طوقان" وصورتها في سيرتها، عادات المجتمع "فلسطيني" الذي كان يربط النحس والسعد بأي شيء جديد تقول « في بلدنا فلسطين يربط الناس السعد والنحس بالمولود الجديد أو بالفرس الجديد أو بالزوجة الجديدة أو بالمنزل الجديد، فيكون هذا الجديد مبعث تفاؤل أوتشاؤم بحسب ما يرافقه من أحداث سعيدة أو تعيسة. ترى هل ربطت أمي مقدمي إلى العائلة بالنحس الذي طرأ عليها»[2]

وكذلك من التقاليد الاجتماعية التي فرضت على "فدوى" حرمانها من المدرسة بعد أن خفقت قلبها (لزهرة الفل) التي ركض بها صبي إليها الذي كان يراقبها، يراقب حركاتها،وبعد أن علم شقيقها "يوسف" بالأمر أصدر حكم الإقامة الجبرية بالمنزل وعدم مزاولة الدراسة، لكن على الرغم ما عانته "فدوى طوفان" في حياتها من صراعات حيث سلبت منها طفولتها وحريتها وأسباب نجاحها هاهي تصور لنا كيف تغلبت عليها، فبدأت تتعلم الشعر على يد أخوها "إبراهيم" الذي كان معلما للشعر، كان يعطيها قصائد تقرؤها وتحفظها ثم تعرضها عليه، وبهذه الخطوة وجدت نفسها تتغلب على معانتها وصراعاتها. فقد وجدت من يوجهها ويعتني بها تقول « نسيت شقائي كله وانسحاقي كله ورحت أعيش المستقبل في حاضري الذي جعله إبراهيم مرجا أخضر، وحقلا من حقول القمح

[1]- فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة.ص 19.

[2]- المرجع نفسه. ص20

الواعد، رحت أرى الحصاد الأتي في أحلام يقظتي، وأصبح بمستطاعي أن أسبق الزمن على جناح الألم».[1]

وهكذا انتقلت فدوى من حال الألم والمعاناة إلى حال الأمل والنجاح، وكان ذلك الصراع الذي عاشته فدوى محركا أساسيا لفعل الكتابة عندها.

المبحث الخامس: الحقيقة والخيال / الصدق والصراحة

تعد الحقيقة والخيال ثنائية مكونة للأدب السيري، وبواسطتهما تدرك مدى وعي الكاتب بهذا الأدب وذلك إذ أحسن توظيفهما في بناء نصه السيري؛ وتتسم السيرة الذاتية بطابع الحقيقة، فهي تسعى إلى نقل أحداث ووقائع جرت في الواقع مما يجعلها خالية من الطابع التخيلي، وتعرف في نفس الوقت بأنها حكي استرجاعي نثري مما يجعلها تقوم على عملية التذكر، فإلى أي مدى يمكن أن يكون ما يصوره الكاتب عن نفسه حقيقيا ؟ وهل وسمها بالطابع الحقيقي يجردها من الخيال؟

إن كتابة السيرة الذاتية ليس بالأمر السهل الممتنع اليسير الذي يسهل كتابته؛ فهي تتطلب من كاتبها بأن يتخلص من كل ميولاته ورغباته، ونوازعه بأن يتجرد من نفسه « فالحوادث التي يرويها عن نفسه قد تعصف بقدرته على وزن الاشياء وتقويم الامور وتظل تفكيره، وقد يكون الانسان أمينا مخلصا صريح الرأي صادق الحديث، ولكن تنقصه مع ذلك القدرة على التحليل والتعليل والتحري والاستقصاء، وقد يكون عارفا بنفسه ولكن تنقصه الموضوعية والنزاهة العلمية. وأوفر الناس عقلا وأرجحهم رأيا قد يكون عنده أسباب خاصة تدعو الى الكتمان والاخفاء، أو تستلزم التزيد والاضافة،

[1]– فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة.ص 75

أو تحبذ المبالغة أو التشويه والتحريف وعلاوة على ذلك، فإن بعض الناس قد لا ينصفون أنفسهم، بل قد يقسون عليها، ويضيفون اليها عيوبا هم منها أبرياء...»[1]

اذن تبقى كتابة السيرة الذاتية من أعسر الامور التي يصعب كتابتها فمهما أخلص وأصدق صاحبها يصعب عليه تحري الحقيقة وذلك نتيجة لأسباب وعوامل ومؤثرات يضطر من خلالها الى الاخفاء أو التحريف أو الحذف أو الزيادة أو الاضافة والمبالغة وهذا ما تؤكده "تمارة" في كتاب "الحقيقة الملتبسة" قراءة في اشكال الكتابة الذات " « أن كاتب السيرة الذاتية يعلم أن ما يقوله ليس كله حقيقيا، وذلك لكونه اضطر لأسباب ودواع متعددة الى اختلاف احداث معينة أو حذفها أو تمطيطيها، ومن هذا المنطلق لا يراهن على قول الحقيقة كما وقت فعلا»[2] ومن خلال هذا يتضح لنا أن دعوى عدم الصدق والحقيقة قوية للغاية، اذ ليس في وسعنا أن ننقل الحقيقة بأكملها وكما جرت عليه، فتحري الحقيقة في السيرة الذاتية هو مجرد محاولة على الرغم من أنها اصدق الفنون، وذلك نتيجة لعوامل وعوائق تعترض طريق المترجم لنفسه.

ومن العوامل التي تساهم أيضا في عدم صدق المترجم لنفسه وتعمل على تشويه الحقيقة نجد ما يلي:

[1] – ينظر:شرف عبد العزيز: أدب السيرة الذاتية . ص13.

[2] – ينظر:محمد الداهي: الحقيقة الملتبسة.(قراة في اشكال الكتابة عن الذات).الدار البيضاء،ط1، 1428 هـ، 2007 م ، ص 67.

1-النسيان

وهو عامل طبيعي يعمل آليا داخل الانسان، وهو ظاهرة ملازمة لحياته، وأكثر ما يمكن أن يعترض الانسان لنسيانه مرحلة الطفولة وفي هذا المقام يقول"اندريه موروا" في كتابه "فن التراجم والسير الذاتية" « فعندما نبدأ في كتابة تاريخ حياتنا يكتشف معظمنا أنه قد نسي جانبا كبيرا منه والبعض ينسى مرحلة الطفولة بأكملها، وفيما يتصل بي شخصيا، فحتى سن السابعة أو الثامنة لا أجد الا عددا نادرا من الذكريات الواضحة وتبدو لي كأنها لوحات منعزلة يحيط بها من كل جانب شواطئ النسيان السوداء، وربما كان انغلاقا خاصا بشخص»[1] ويؤكد "عبد الدايم يحي"أيضا مدى تأثير عامل النسيان يقول « وحين يبلغ الانسان النضج والاكتمال، يكون قد كيف نفسه في اطار اجتماعي محدد، فيحول ذكرياته الى حقائق ثابتة، تحيط به وتكتنف حياته وتظل دائمة الالحاح عليه، ولذا فان الانسان هو ضحية الذاكرة والزمان الذين يفرضان عليه ضروبا من الخداع والتضليل والخذلان »[2].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن النسيان هو عدم القدرة على استرجاع أحداث ووقائع حدثت في زمن الماضي كطفولة مثلا، وأن عملية التذكر عملية عقلية تستلزم مجهودا عقليا قد يصعب ويطول الوصول اليه في بعض الأحيان كما قد يشارك الزمن في النسيان، فكلما تقدم الانسان في العمر زاد احتمال تعرض ذاكرته لنسيان، وأن آلية النسيان تؤدي وظيفتها على امتداد الحياة.

[1] – اندريه مورا: فن التراجم والسير الذاتية.تر:أحمد درويش.المجلس الأعلى لثقافة،1999، ص 98.

[2] – يحي ابراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث.ص 07.

2-الحياء

كذلك يمارس عامل الحياء دوره بشكل فعال في اخفاء الحقيقة فكاتب السيرة الذاتية باعتباره فنانا، لا يمكنه أن يعرض بعض المواقف المخزية والغير مرضية للاحتشام والوقار، ويكتفي بالتلميح اليها فقط وذلك ان اقتضت الضرورة « انها تحرف كذلك من خلال التأثير الطبيعي للرقيب الذي تمارسه الروح على الأشياء التي لا تستريح لها، ولنرجع الى حكاية طفولة ما، فعندما يكون الموقف مخزيا أو غير مرضي، فيكاد يكون من المستحيل أن يرويه بأمانة »[1].

ومن حوائل تحريف السيرة الذاتية كذلك الحياء المتعمد ويكون ذلك لغاية أو رغبة منه أو لأسباب جمالية، وهي عوامل واعية ارادية كالتزييف والتمويه يقول " عبد الدايم يحي" «حين يعمد كاتب الترجمة الذاتية الى اخفاء ذاته أو الى العجب بها، ليرسم لنفسه احدى الصورتين المتواضعة المنكرة للذات أو المزهوة المعجبة المغالية في تجميد "الأنا"»[2]فهو يعمد التحريف لسببين اما لاخفاء ذاته أو للافتخار بها وفي هذا الصدد يقول " عبد العزيز شرف" « إن كاتب السيرة الذاتية مضطر الى أن يحذف من روايته وسرده المسائل العادية الدارجة، ويقتصر على ذكر الحوادث والأعمال والسمات الغالية، وإذا لم يفعل ذلك فسيكون من المتعذر كتابة أو قراءة المجلدات الضخمة التي تصير ضرورية، ولكن حذف تلك الاشياء المبتذلة له، التي يتكون منها الجزء الأكبر من الحياة الذي يشترك فيه الرجل العظيم مع غيره من الناس، والابقاء على الأشياء البارزة وتأكيدها واظهارها، من شأنه أن يوجد الاحساس بأن الحياة التي يتناولها كاتب السيرة الذاتية تختلف عن حياة الآخرين اختلافا أكثر من

[1] – اندريه موروا: فن التراجم والسير الذاتية.ص 103.

[2] – يحي ابراهيم عبد الدايم: لترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث.ص 07.

اختلافها في الواقع وهذا النقص لا مفر منه»[1] ويتضح لنا من خلال ما تقدم أن كاتب السيرة الذاتية سواء أراد، أم لم يرد عليه أن يحذف العناصر العادية الذي يشترك فيها مع عامة الناس وعليه الابقاء على العناصر البارزة، واظهارها حتى تميزه عن غيره.

ومن خلال هذه الحوائل التي عرضناها فان السيرة الذاتية لا تحتمل الحقيقة الكلية مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها، فهذه العوامل التي سعت الى تشويه الحقيقة تفسح المجال للخيال بأن يؤدي دوره في اتمام ما تركته الذاكرة غير واضح ومظلم ومبتور فيلجأ كاتب السيرة الذاتية الى « عملية الاضافة والخلق التي تفرض مزج الواقع بشيء من الخيال، وربط الأحداث الرئيسية الواقعة بأحداث جانبية مخترعة وتجلية، الشخصيات المحورية الكائنة بشخصيات ثانوية مولدة، كل هذا بالاضافة الى ما قد يكون من اختراع أسماء جديدة لبعض الشخصيات أو ذكر صفات ...الخ»[2]

ومن خلال ما تقدم نستنتج أن السيرة الذاتية على الرغم من أنها فن قائم على الحقيقة الكلية المطلقة في نقل الوقائع وأحداث جرت في الواقع، الا أنها في نفس الوقت تلجأ الى توظيف عنصر الخيال وذلك لأن كاتبها مضطر الى اخفاء بعض الجوانب التي اعترضت طريقه ولا سيما مرحلة الطفولة بالخصوص.

[1] – عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية.ص 19-20 نقلا عن:رشاد رشدي.ما هو الادب ؟ القاهرة المكتبة الانجلومصرية، 1960 ص 28.

[2] - ينظر:احمد هيكل: الأدب القصصي والمسرحي في مصر.دار المعارف،بيروت، لبنان، ط4، 1983 ، ص50.

-الصدق والصراحة

إن تقيد مؤلف السيرة الذاتية بالصدق والصراحة أمر ضروري وواجب عليه، حيث يعتبر أنه واسطة ثقة بين المؤلف ومتلقيه، كما يضفي على النص صبغة اجتماعية وتاريخية، تعكس حياة الكاتب كما هو معروف عن السيرة الذاتية بأنها بحث يخص حياة شخص ما وأثاره وأعماله والفائدة منها والاقتداء به، وهنا السؤال يطرح نفسه الى أي مدى يمكن للكاتب الالتزام بصدقه وصراحته في سرد حياته وفي هذا يقول" احسان عباس " «الجواب على هذا التساؤل سهل لا يجتاح الى كثير من التدقيق، فالصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل والحقيقة الذاتية أمر نسبي، مهما يخلص صاحبها في نقلها على حالها ولذلك كان الصدق في السيرة الذاتية محاولة، لا أمرا متحققا»[1] وهذا معناه أن الصدق أو الصراحة أمران مقصودان من الكاتب حين يحقق له الانتقاء والاجتزاء من أحداث حياته، حين يستحيل نقل الواقع بكل تفاصيله، اذن كاتب السيرة الذاتية «ليس فوتوغرافيا في رصده، يعرض علينا مجموعة صور علينا نحن أن نبحث عن الوحدة بينهما ونتعمقها ونقيم من خيالنا اطار يجمعها انما يعرض علينا قصة حياته كما مثلها»[2]

كاتب السيرة الذاتية لا يستطيع نقل أحداث حياته من الألف إلى الياء وذلك؛ بسبب عامل الذاكرة، قد ينسى البعض منها فيضفي عليها بعض اللمسات الخيالية الجمالية والفنية من أجل استكمال الصورة بشرط الصدق والصراحة، كما هناك عوامل آخرى تمنع الكاتب من قول الحقيقة اذا ما تعلق الأمر بالدين والسياسة والجنس والحب لكن هناك كتاب يتحدون الواقع لا يخجلون من

[1] – إحسان عباس: فن السيرة.ص13.

[2] – فهمي ماهر حسن: السيرة تاريخ وفن.مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط1، 1970 ،ص 242.

المجتمع فيسردون حياتهم كما هي مثل "توفيق الحكيم" في روايته " سجن العمر" الذي روى فيها أيام طفولته حتى شبابه متحررا من القيود التقليدية في فحص تفاصيل حياته فوقف على صدق الوصف والتصوير مستوى كل شروط الكتابة السيرية فقال « هذه الصفحات ليست مجرد سرد وتاريخ لحياة... انها تعليل وتفسير لحياة ...اني أرفع فيها الغطاء عن جهازي الأدمي لأفحص تركيب ذلك»[1].

كان الحكيم حريص على نقل الأحداث كما جرت حين كان يبدأ معظم كلامه بعبارات (روت والدتي ، روى زوج خالتي ، كانت اسرة والدتي ...) حين نرى شدة صدقه الى غاية أنه تحدث عن يوم ولادته، رواية عن والدته قائلا « روت والدتي –فيما بعد–اني هبطت الى الدنيا في صمت دون بكاء أو صخب أو عويل ...»[2] بهذا كان توفيق الحكيم «من أعظم كتابنا المحدثين حظا من الصدق النظرة المجردة والتواضع الخلقي والصراحة»[3].

إذن فالصدق والصراحة أمران أو عاملان مؤثران في الكتابة والتلقي.

[1] – توفيق الحكيم: سجن العمر.المطبعة النموذجية،الحلمية،مصر، ص12.

[2]– المرجع نفسه. ص15.

[3] – يحي ابراهيم عبد الدايم. الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث . ص142.

الفصل الثالث

تجليات الأدبية في رواية ليبك حجم الفقراء

المبحث الأول: سيرية نص ليبك حجم الفقراء و دلالة العنوان

المبحث الثاني: أدبية الشخصيات

المبحث الثالث: أدبية الفضاء

المبحث الرابع: أدبية السرد

المبحث الخامس: أدبية الزمن

تمهيد

يتركز موضوع بحثنا على كشف أدبية النص السيري "لبيك حج الفقراء" أكثر من البرهان علي سيرية النص، وذلك من خلال البرهان على العناصر التي تطرقنا إليها في الفصل الثاني بخصوص (الميثاق، التطابق، الدوافع، الصراع، الحقيقة والخيال، الصدق والصراحة)؛ لأن ما يهمنا ليس السيرة بل أدبية السيرة أو الرواية السيرية، ومع ذلك سنفصل في قضية انتماء هذه الرواية إلى السيرة الذاتية لأن مالك بن نبي استوحاها من قصة رجل وطفل التقاهما، وهذا ما صرح به في رسالته إلى الناشر.

ومن المعلوم أن الأدبية لا تنفصل عن النص وهذا ما توصل إليه اللسانيون فهي تدرك بالتركيز على العناصر الكامنة في أعماقه، وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول في مفهوم الأدبية، وما دام الأمر كذلك فسنتناول بيان أدبية هذا النص السيري الذاتي بالتركيز على جملة من العناصر أوالآليات أو البنى المشكلة للنص، كالشخصيات، الزمن، الفضاء، السرد و كيف تتحول السيرة من واقع معاش إلى نص أدبي؟ أو عمل فني؟ إن هذا السؤال هو الذي سنسعى إلى تبيانه، فكيف استطاع مالك بن نبي تحويل الشخصيات العادية إلى أدبية؟ وكيف أضفى عليها طوابع متخيلة؟ وكيف قدم الزمن والفضاء في الرواية؟ لذلك سنعمل إلى تفصيل في كل عنصر لوحده، وسنبين أين تتجلى أدبية كل بنية من البنى المذكورة ومظاهر أدبيتها.

المبحث الأول: سيرية نص لبيك حج الفقراء ودلالة العنوان

1-سيرية نص لبيك حج الفقراء

إن نص لبيك حج الفقراء ليس نصا سيريا ذاتيا، بل هو نص سيري غيري، أي أن مالك بن نبي كتبها عن شخصيتين واقعيتين، واستطاع أن يظفي عليها مسحة تخييلية حيث قال « واذا كانت هذه التفاصيل المادية للأحداث معروفة لدي بمنتهى الاتقان فليست بالمثل، فيما يتعلق في مجراها العاطفي و الروحي»[1]، أي أنه أخذ الأحداث ثم أضفى عليها جوانب نفسية، وجوانب أخرى من عنده، وفضلا عن هذا هناك دليل آخر على سيرية النص حينما يقول « فقدأسيت كثيرا عندما حاولت اكتشاف الأشخاص في مرحلة خاصة من حياتهم، بينما لم أستطع اكتشافهم في الوقت القصير الذي خصصته لهم أي حوالي الشهر»[2] حيث الكاتب لم يتحصل على ما يكفي من الوقت لكتابة سيرتهم بكل التفاصيل والحقائق، ولذلك اعتمد على عنصر الخيال وهذا ما يبرز في قوله «إنما الجانب الخيالي الوحيد فيتمثل في الصلة التي وضعتها بين الأشخاص في المكان والزمان»[3].

إن اعتماد عنصر الخيال هو جزء من أدبية النص فالأدبية عند رومان ياكبسون قامت على المقابلة من الكلام العادي اليومي الذي تزيد فيه وظائف اللغة الأخرى درجة ، كالوظيفة الانتباهية و الافهامية والكلام الأدبي الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية، وهنا تقيم مقابلة بين القصة كواقع

[1]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.تر:زيدان خوليف.دار الفكر،دمشق،ط1، 1430هـ _2009م. ص25.

[2] -المصدر نفسه. ص25.

[3] -المصدر نفسه. ص24.

معاش وبين القصة ذاتها لما تتحول إلى نص أدبي، تقوم على عناصر (زمن، سرد، حوار) وتقوم على خلق ذلك الانسجام بين هذه العناصر من خلال عملية التخيل كما أشرنا اليها سابقا

2-دلالة العنوان

سنعمل في هذا المبحث على محاولة قراءة عنوان الرواية "لبيك حج الفقراء والغرض من اختيار الكاتب لهذه الكلمات الثلاث وما مدى أدبيتها في النص.

يعتبر العنوان عتبة نصية، له وظيفة خيالية وفنية في النص، وعنصرا أساسيا يشكل مفتاحا بواسطته يتم الولوج إلى عالم النص وكشف خباياه، حيث ورد مصطلح العنوان في المعاجم العربية في عدة مواضيع ففي "المنجد في اللغة" « جاءت لفظة عنا وعننا وعنونا، وعنّن الكتاب، كتب عنوانه، ويقولون أيضا "عنين الكتاب" فيبدلون إحدى النونات ياء»[1]

أما اصطلاحا فيعد « نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية و أخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالته ومحاولة فك شفرتة الزامرة»[2].

وبما أننا قلنا أنه عتبة نصية « يطأها الباحث السيميائي قصد استنطاقها واستقرائها بصريا ولسانيا، وأفقيا وعموديا»[3] إذ يعتبر الوسيلة الكاشفة لمضمون النص، كما يرى مُحَمَّد فكري الجزار أن "العنوان مع شدة إختصاره أعلى اقتصاد لغوي ممكن»[4]

[1]-ينظر:لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية.دار الشروق،بيروت،لبنان، ط7، 1931، ص 532.

[2]-بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان.جامعة اليرموك،اربد،الاردن،ط1، 2001، ص 33.

[3] -المرجع نفسه. ص 93.

[4]-مُحَمَّد فكري الجزار: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامة،(د ط)، 1998، ص 5.

فإذا ما عدنا إلى عنوان رواية "لبيك حج الفقراء" نجده يتكون من ثلاث كلمات، سوف نحاول استقراء كل كلمة لوحدها ثم نستخلص العلاقة الكامنة وراء هذه الوحدات الثلاث.

- **لبيك**

في اللغة هو مصدر نائب عن فعله يستعمل في اجابة الداعي أي اجابة بعد اجابة وتأتي في سياق حركة صوتية مثقلة بالمشاعر الايمانية الخالصة من العبد المؤمن اتجاه مولاه نحو السماء

- **حج**

هو خامس ركن من أركان الاسلام، يؤديه لمن استطاع إليه سبيلا كل سنة من شهر ذي الحجة، كما هو مجموعة من الأفعال والأقوال التي يقوم بها العبد المسلم تقربا الى الله تعالى.

- **الفقراء**

ورد في "معجم المنجد في اللغة" كالآتي : « فقير، ج: فقراء، فقيرة، ج فقيرات وفقائر وفقراء، الفقر، ج فقور ومغافر، ضد الغنى وفقراء، المحتاج»[1]، والفقراء هم مجموعة من الناس يمثلون طبقة من المجتمع لديهم نقص مادي ومالي.

حيث العلاقة التي تجمع بين هذه الكلمات الثلاث هو أن الحج يكون رابط بين الكلمة الأولى لبيك التي تقال في الطواف حول الكعبة أثناء الحج وكلمة الفقراء الذين يمثلون العباد، حيث الحج هو الوسيلة التي تكمن العباد بالتقرب من الله من خلال لفظة لبيك التي تمثل الطاعة والخضوع لله.

[1]–لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام. ص 590.

كما يقصد مالك بن نبي من كلمة الفقراء جانبين، الجانب الأول الفقر المادي، بحيث بطلي القصة كان كلاهما معدمان لا يملكان قوت يومهم واحد، وبين ليلة وضحاها عندما قرارا التوبة يسرلهم الله الأمور لتلبية نداء الحج اذا كان أمرا وقضاءا من عنده.

أما الجانب الثاني من الفقر، يتمثل في الفقر المعنوي والروحي ، فقر الايمان والابتعاد عن طريق الله، الذي تجسد عند كلا من إبراهيم مدمن الخمر والطفل هادي المتشرد الذي تربى في شوارع اذ فقد الجو العائلي الذي يربي ويوجه ويرشد إلى الله تعالى كما أننا جميعا فقراء أمام الله تعالى فهو الغني القادر على كل شيء.

المبحث الثاني:أدبية الشخصيات

تعتبر الشخصية عنصرا أساسيا في كل عمل روائي بحيث لا يمكن وجود رواية دون شخصيات، فهي عنصرا محوريا بدليل أن « كل قصة هي قصة شخصيات »[1]كما تعتبر «ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوة التي تحرك الواقع من حولنا ،فالشخصية أولا وأخيرا من المقومات الرئيسية للرواية والخطاب السردي بصفة عامة »[2] ، وهدا معناه أن الشخصية هي من تصنع الحدث وتطوره سواء كانت حقيقية أو خيالية.

1-الشخصيات بين الحقيقية والمتخيلة

تتنوع الشخصيات من واقعية وخيالية حسب واقع الرواية،فإذا ما كان موضوع الرواية تاريخي أو سياسي لا بد، وأن تكون الشخصيات حقيقية واقعية، أما إذا كانت الرواية أدبية فهنا

[1]- الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة.دار الجنوب. سلسلة مفاتيح، (د ط)، 2000، ص94.

[2]- إبراهيم خليل: بنية النص الروائي.منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2010، ص173.

يختلف الوضع حسب تعاطي الروائي مع تلك الشخصيات ففي بعض الأحيان تفرض نفسها على الروائي ليسد بها الفراغ السردي فيمزج بين الواقعية والخيالية، فتكون هناك شخصيات مقتبسة من عالمه الواقعي، ربما تعايش معها وشخصيات خيالية ربما لم يتعرف عليها بشكل واضح أو لسبب الجمالية يلجأ إلى الخيال في رسمها وكأنها حقيقية.

وفي رواية "لبيك" هناك شخصيات لا نعرف حقيقتها بقوله «لم يكن لدي متسع من الوقت لأتعرف علي الأشخاص بصورة كافية، خاصة الشخصيتين اللتان قامت من حولهما القصة وهما الفحام و الطفل اللذان عاشا في مدينة بونة»[1] وفي قول آخر ،«مغامرة الحاج التونسي الذي منع من الحج فهي حقيقة قد شغلت الصحافة التونسية آنذاك»[2]، فاذا عدنا إلى مجرى الأحداث في الرواية نجد بأن هناك رجل منع من الركوب على متن السفينة «لأنه لم يستو في جميع إجراءات الحج»[3] حيث كان «مشهد محزن بطله رجل ورقباء المدينة الذين كانوا يحاولون بكل طاقتهم الإمساك به وهو يحاول بكل ما أوتي من قوة إدراك العبارة التي بدأت تسحب، كان الرجل يصرخ ويتخبط ليتخلص من قبضة الرقباء عند رؤية العبارة التي سحبت، والمركب الذي بدأ يبتعد عن المرسى»[4] ومن هذه الاقتباسات نفهم بأن الكاتب يصرح لنا بأن الفحام إبراهيم والطفل هادي بطلا القصة، كما هما الشخصيتان الحقيقيتان بالإضافة إلى الحاج التونسي الذي منع من الحج، أما باقي الشخصيات لم تسمح له الفرصة بالتعرف عليهم فوظف خياله من أجل تكملة وتركيب الصورة وترتيب الأحداث،

[1] –مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.تر: زيدان خوليف.ص24.

[2] - المصدر نفسه. ص25.

[3] - المصدر نفسه. ص25.

[4] –المصدر نفسه. ص89.

حيث تمثلت هذه الشخصيات الخيالية في العم مُحَّد وزوجته فاطمة، زوجة إبراهيم زهرة، الحجاج الذين كانوا على متن الباخرة مع إبراهيم.

ومن هذه الشخصيات المتخيلة تظهر أدبية النص، وتبرز قدرة الكاتب في ابتداع شخصيات غير واقعية أي أنه لم يلتقيها.

2-الشخصيات بين الرئيسية والثانوية

أ-الشخصيات الرئيسية

الشخصيات الرئيسية هي التي« تستأثر اهتمام السارد، حيث يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوقة»[1]. وتكمن أهميتها في بناء الرواية ككل الأحداث والفضاءات و غيرها من المكونات السردية الأخرى فترتكز عليها بشكل بارز. فالشخصيات الرئيسية أو المركزية التي أولاها الكاتب الدور الأكبر في الرواية هي إبراهيم والطفل هادي.

- **إبراهيم**

تمثل شخصية إبراهيم الشخصية البطلة، فهي أكثر الشخصيات بروزا في العمل الروائي، حيث حازت على قسط كبير من اهتمام الكاتب وتفكيره، كما ساهمت في سيرورة الاحداث والمحور الذي تدور حوله ، حيث نجدها بارزة من أول الرواية إلى آخرها.

[1] -مُحَّد بوعزة: تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم).ص 94

إبراهيم شخصية انتقلت من الطريق المنحرف إلى طريق التوبة والهداية بسبب حلم راوده أطار النعاس من عينيه رغم نشوته، حيث رأى نفسه يطوف بلباس الإحرام، تحقق حلم إبراهيم وذهب إلى الحج ليتحول من إنسان سكير مرفوض من قبل المجتمع إلى إنسان تائب حاج يشق طريق لله.

- **الطفل الهادي**

الطفل هادي هي الشخصية الرئيسية الثانية، حيث تمثل الطفولة الجزائرية خلال الاستعمار، حيث التشرد والفقر واليتم، هادي وبطيشه قرر الصعود على متن سفينة الحجاج والذهاب معهم إلى البقاع المقدسة ويحج بيت الله الحرام كمسافر غي شرعي دون أوراق وبدون تسديد تكاليف الحج، وهذا كان رهان بينه وبين أصدقاءه المتشردين في محاولة منه للتخلص من حياته البائسة، فبخفته استطاع هادي الصعود على متن الباخرة خلسة وتحقق حلمه حيث كتب الله له حياة جديدة عندما أنقذه إبراهيم من عمال السفينة لعملته الغير شرعية ومحاولة منهم لمعاقبته، فأصبح هادي يلازم إبراهيم في المأكل والمشرب وحتى الوضوء والصلاة بعدما تعلمها منه.

ب–الشخصيات الثانوية

الشخصيات الثانوية هي شخصيات لها أدوار أقل فاعلية في العمل الروائي، ولا تحظى باهتمام كبير إلا أنها تبقى عنصرا مهما في الرواية يكون مساعدا على كشف الجانب الغامض من الشخصية الرئيسية ، يقول "مُحَمَّد غيمي هلال" «إذا كانت الشخصيات ذات الأدوار الثانوية أقل في تفاصيل شؤونها فليست اقل حيوية وعناية من القاص وكثيرا ما تحمل الشخصيات أراء المؤلف »[1] وفي رواية

[1] –مُحَمَّد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث. دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1973، ص25.

"لبيك" نجد عدة شخصيات ثانوية استعان بها الكاتب قصد دعم الأحداث وخلق الانسجام لدى الشخصيات الرئيسية هذه الشخصيات إن كانت ثانوية بالنسبة لدرجة حضورها، فإنها مهمة في اكتمال الرواية واكتمال أدبيتها، ومن هذه الشخصيات نجد:

- **العم مُحَمَّد**

كان للعم مُحَمَّد دورا بارزا في سيرورة الأحداث حيث قدمها الكاتب كرمز الأصالة المتجذرة في الشعب الجزائري، إذ كان العم مُحَمَّد يقطن في نفس الحي الذي يعيش فيه إبراهيم غالبا ما كان هو من يساعد إبراهيم على إدخاله إلى دكانه عندما يعود مخمورا ليلا «ليحفظك الله، ادخل ، ادخل، مخاطبا السكير، وهو يمد إليه لكي يساعده على تجاوز العتبة» [1]، كما كان هو أيضا من ساعده عندما قرر الذهاب إلى الحج ودبر له تكاليف السفر وسهل له معاملات بيع المنزل.

- **زهرة**

"زهرة" زوجة "إبراهيم" زوجة عانت مع زوجها وسلوكاته غير المحترمة، حيث كانت صابرة متحملة كل عربداته وعجرفته، راجية من الله أن يهديه ويصلح حاله، حيث كان لزهرة عصفورا (كروان) كان متنفسا لها بتغريداته« لقد تعودت على فهم حركات رأسه الصغير، كان يقول لها "لا" عندما يحرك رأسه يمينا ويسارا ويقول لها "نعم" عندما يخفض رأسه كانت أجوبته وزقزقته كافية لتشعرها بالرفقة» [2].

[1] – مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.ص34

[2] –المصدر نفسه. ص46.

انفصلت زهرة عن إبراهيم، لكن هذا لم يمنعها من أن تكون امرأة وفية مخلصة لزوجها وبقيت تكن له الاحترام، وتتمنى له كل الخير والمحبة، وكانت فرحتها كبيرة عندما علمت بخبر ذهابه للحج فأرسلت له سبحة كانت لها من أمه لتخبره بمدى حبها له، فهذه الشخصية أراد بها الكاتب أن تجسد الفطرة الإنسانية.

- **فاطمة**

العمة فاطمة زوجة عمي مُحَمَّد وجارة إبراهيم، الجارة الوفية لجيرانها الذين عاشت معهم حتى آخر لحظة من حياتهم، كان حبها لإبراهيم مثل زوجها حبا كبيرا، كانت تعطف عليه، وتعتبره مثل ابنها، هي الأخرى فرحت كثيرا بتوبة إبراهيم، حتى أنها دعته إلى البيت وحضرت له غرفة وبخرتها وأعدت له الطعام توديعا له حيث استقبلته بحنان وفرح إثر المعجزة التي غيرت منه مخاطبة إياه« لابد أن والديك سعيدان الآن يا (سي) إبراهيم»[1] ،فرح إبراهيم بكلمة (سي) حيث تدل على التقدير، غالبا ما تقال للناس الذين يحظون بمكانة شريفة.

عند خروج إبراهيم من المنزل، أعطته العمة فاطمة السبحة التي أرسلتها له زوجته زهرة « كانت هذه السبحة لوالدتك فليرحمها الله حافظت زهرة عليها بحرص وعندما علمت برحيلك هذا الصباح، أسرت على أن ترسلها إليك لأنها أيقنت أنك جدير بأن تحتفظ بها الآن»[2]، افترق إبراهيم مع العمة فاطمة بعلاقة طيبة وذكريات حلوة.

[1]–مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص68.

[2]– المصدر نفسه.ص70

- **الحجاج**

صور الكاتب الحجاج في هيئة شخصية جماعية، التي بدأ دورها على متن السفينة وهنا التقى بهم إبراهيم، حيث ترك هؤلاء الحجاج ورائهم كل الأمور الدنيوية من أهل ومال من أجل تأدية فرض الحج، وعلى متن السفينة تعارف الحجاج على بعضهم وشكلو مجموعات من أجل الصلاة والأكل، كما كان لإبراهيم أيضا جماعته من بينهم حاج متقدم في السن.

3-طرائق رسم الشخصيات

في كل عمل روائي يلجأ الكاتب إلى التعريف بشخصياته وذلك يكون من خلال الرسم الداخلي والخارجي للشخصية، بسلبياتها وإيجابياتها.

أ-الرسم الخارجي

هنا في الرسم الخارجي للشخصية يقوم الكاتب برسمها من الخارج حيث يبرز لنا اسمها عمرها، مهنتها ومظهرها الخارجي من ملابس وهيئة وملامح الوجه.

إبراهيم شاب يبلغ من العمر ثلاثين عاما، يملك محل لبيع الفحم، ينحدر من الوسط البرجوازي الإسلامي الذي لا يعمل، سكير، منبوذ من طرف المجتمع بسبب سلوكه الغير سوي، يعيش حالة من الضياع والانحراف «لون بشرته الباهت الخاص بسكان مدن شمال إفريقية يكشف عن أصوله الحضارية، كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاء قماشيا ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف»[1] هذا الوصف إن دل على شيء فهو يدل على حالة

[1]-مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص34.

المجتمع الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية وتأثيرات المجتمع الفرنسي على المجتمع الجزائري وما مدى إحساس إبراهيم بأنه ينتمي إلى المجتمع الأوروبي بمعاقرته للخمر طوال الوقت.

أما هادي كان يتيما مشردا، يعمل ماسحا للأحذية، كان طفلا متسخا بملابس رثة «كان شعره أشعث ورجلاه حافيتين يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة»[1] ،لقد رسم الكاتب الطفل هادي في صورة الفقر والجهل والكبت الذي عان منه أطفال الجزائر خلال الاستعمار مما كان يجبرهم على الأعمال الشاقة مثل: الحمالة والتجول كباعة في الأسواق، أو مسح الأحذية.

كما رسم الكاتب العم مُحَّد في صورة الخير والمحبة والتقوى «كان شيخا له لحية بيضاء وحول عنقه سبحة»[2] ،يجسد الكاتب بشخصية العم مُحَّد التوجه الديني والتمسك بمبادئه، وهو الذي يخلص إبراهيم من شروره التي وقع فيها، كما يمكن أن نلمس الرسم الداخلي مع شخصية زهرة على شكل صور مختلفة بسبب سلوكات زوجها «كانت قد عادت بعد أن قامت بغسل بعض الملابس لقتل الوقت، وارتسمت على صفحات وجهها رقة وحزن كمن به مرض عضال»[3] ويشير في موطن آخر إلى أنها «كانت هادئة لأن (قزانة) أي قارئة حظ أنبأتها في الصباح أن معجزة ستقع في حياتها التي تتألم منها كثيرا، وأن سبب معاناتها سيزول»[4]، كانت زهرة تمثل الحب، والخير ونموذج المرأة الجزائرية المسلمة الأصيلة المحافظة على عاداتها وتقاليدها، أما بالنسبة لفاطمة شأنها شأن زوجها امرأة كبيرة في السن، رسمها الكاتب في صورة الحب والوفاء لجيرانها والرقة والعطف.

[1]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء .ص76.

[2]- المصدر نفسه. ص33.

[3]-المصدر نفسه.ص46.

[4]-المصدر نفسه. ص47

ب–الرسم الداخلي

يذهب الكاتب في الرسم الداخلي للشخصية إلى الغوص في أعماق الروح والقلب وعما يخالج النفس من أفكار وأحاديث وحوارات صامتة، بين الشخصية وذاتها وحتى مع الآخرين، حيث استطاع الكاتب الولوج إلى عمق إبراهيم وكشف خباياه وحتى ما يدور في باله من أفكار «لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته، يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها ن السلالة الصالحة لأسلافه»[1] وفي موضع آخر يقول الكاتب عن إبراهيم «كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي الذي ينزل بهذه الشريحة المشبوهة من الناس الذين طبعتهم الحياة التي أخذت منعطفا عصريا والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين مجتمع مسلم وآخر أوروبي»[2] كما استطاع الكاتب رصد حلم إبراهيم وفي حوار مع نفسه "أجل لقد حلمت بالكعبة"»[3]، من كل هذا نفهم بأن ابراهيم مازال محافظا على ورثه الديني، ومازال ضميره يئنبه على أخطائه و انحرافه، وهنا نرى بأن الكاتب رسم لنا الصورة الداخلية لإبراهيم، صورة تعبر عن الإيمان والتقوى والروح الدينية المسلمة رغم تعرجات الحياة.

وبما أننا قلنا أن الرسم الداخلي للشخصية هو الذهاب إلى القلوب والأذهان فلم يفصل لنا الكاتب في الرسم الداخلي للشخصيات الأخرى بحكم أنه لم يتسنى له الوقت الكافي من أجل التعرف عليهم وعلى ميولتهم العاطفية والروحية وهذا أشرنا إليه سابقا.

[1]– المصدر السابق. ص39

[2]– المصدر نفسه. ص45.

[3]–المصدر نفسه، ص38.

4-دلالة أسماء الشخصيات

أحيانا يمكن رصد أدبية النص لدى بعض الكتاب من اختيار الأسماء لأن هذا الاختيار ليس عشوائيا، كما أنه لا توجد شخصية دون اسم «فالتسمية من الأشياء البديهية في سياق التشكيل الروائي لنماذج الشخصيات... و يمكن ل لاسم أن يوحي لجزء من الصفات الشخصية النفسية والجسدية، كما أنه يحدد الشخصية ويعرفها بهويتها وطراز تكوينها أو نموذج صياغتها فثمة روابط منطقية تربط الشخصيات بالاسم الدال عليها»[1]، أي أن إعطاء الاسم للشخصية يكسبها علامة ربما تكون مستوحاة من صفاتها ومميزاتها ،كما أن «اختيار الأسماء للشخصيات من طرف الروائي لا يكون عشوائيا وإنما يهدف من خلال ذلك الاسم إلى جملة من الأهداف التي تبرز أهمية استخدام الحوافز الكامنة وراء اختيار الشخصية» [2] ،وهذا معناه أن سبب اختيار الاسم للشخصية له دافع وإذا ما عدنا إلى رواية "لبيك" نجد جميع أسماء شخصياتها أسماء عربية إسلامية وهذا راجع إلى الخلفية الدينية للكاتب، واتجاهه الفكري وباعتبار الرواية كانت تتحدث عن الحج.

- **إبراهيم**

إبراهيم نسبة للنبي إبراهيم عليه السلام وأبو الأنبياء، اختار الكاتب اسم الشخصية البطلة إبراهيم نوعا ما لما فيها من شبه لقصة سيدنا إبراهيم في سورة الأنعام، عندما ظل طريقه في معرفة من هو ربه ومروره بالبحث عن الطريق المستقيم إلى الله، ومع هذا نؤكد أن الأنبياء معصومون عن الخطأ، قال الله تعالى ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ**

[1]-مُحَمَّد صابر عبيد.وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، ص172.

[2]-أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات نصر الله.المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1، 2005، ص40.

هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77) ﴾[1] فعند غياب القمر دعا ربه بأن يرشده ويهديه إليه ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(78)** [2] فغابت الشمس أيضا ألزم قومه بحجة الرب الذي لا يغيب ولا تنطبق عليه صفة الأفول وأعلن تبرأه مما كانوا يعبدون.

هذه المرحلة التي مر بها سيدنا إبراهيم عليه السلام هي ربما نفسها المرحلة التي مر بها إبراهيم بطل الرواية حيث اختلط عليه الأمر ما بين أصوله و ورثه الإسلامي وبين إحساسه بأنه ينتمي إلى المجتمع الأوربي الفرنسي، لكنه استدرك الأمر هو أيضا وعاد إلى طريق الله، ومن هنا ندرك التناسب الحاصل في الاختيار بين شخصية إبراهيم عليه السلام وشخصية إبراهيم في الرواية.

أما بالنسبة للشخصيات الأخرى كلها أسماء عربية إسلامية، فهادي من أسماء الله الحسنى بمعنى المرشد، اختاره الكاتب للطفل المشرد واليتيم حيث خرج من الظلمات إلى النور وذهب للحج في سن صغيرة وهنا يتجلى معنى الاسم.

والشخصية المسماة بمحمد هو اسم الرسول ﷺ، وهو الذي كثرت خصاله الحميدة، وهو من الحمد، وإذا عدنا إلى الرواية نجد بأن العم مُحَمَّد فعلا كان يتصف بكل الخصال المحمودة من حب وخير وإنسانية ورشد ونصح ،فاطمة معناه «النعمة العظيمة»[3] وهو أيضا اسم بنت الرسول ﷺ كانت في الرواية

[1]-سورة الأنعام: الآية 76، 77.

[2]-سورة الأنعام: الآية 78.

[3]- وليد ناصيف: الأسماء ومعانيها.دار الكتب العربي،دمشق،سوريا،ط1، 1997، ص266.

اسم على مسمى بعطفها وحنانها، وزهرة معناه «البهجة، الغضارة، الحسنى»[1] فعلا لقد كانت "زهرة" زوجة "إبراهيم" امراة مبهجة، فرحة رغم كل الظروف التي عاشتها مع زوجها وحسنة الخلق.

5-العلاقات بين الشخصيات الروائية

إذا ما قلنا أن العمل الروائي يشتمل على شخصيات، فإن هذه الشخصيات تربط فيما بينها روابط وعلاقات توطد العمل السردي كما تسهم في تشكل الأدبية وهذا ما سنبرزه من خلال شخصيات رواياتنا.

إبراهيم والطفل هادي جمعت بينهم علاقة تمثلت في صفات عديدة: اليتم، التشرد، الانحراف والانحطاط، إبراهيم سكير يبيع الفحم الأسود والهادي يدخن ويلمع الأحذية بالملمع الأسود، لتتحول هذه العلاقة بعد التوبة لكلاهما إلى علاقة وطيدة ومتينة، علاقة أبوية وأسرية حيث تبناه «وقد قبل أن يصبح بمنزلة ابني، إنه سعيد أيضا إذ ترك علبة مسح الأحذية، كما تركت أنا محلي»[2] كما نجد أيضا الانسجام بين شخصيتي زوجة إبراهيم وزوجه العم مُحَمَّد في رفضهما لتصرفات ابراهيم ، حيث العلاقة بين إبراهيم وزوجته علاقة متوترة بسبب سلوكه وعجرفته الليلية، ومداومته على شرب الخمر، مما أدى إلى انفصالهما وبقيت دائما في مخيلته «تخيل أن زهرة تفكر فيه وتخيل أنها ما زالت زوجته وأنه تركها كما يفعل الحجيج مع أزواجهن»[3] حيث نلاحظ هذا الحب والحنان والاحترام ايضا من طرف زوجة العم مُحَمَّد لإبراهيم إذ كانت تعتبره مثل ابنها وتحب له الخير شأنها شأن زوجها العم مُحَمَّد حيث كان صديق عائلة إبراهيم، كما كان مقربا منه كثيرا. إبراهيم وبطيبته وبشاشة وجهه استطاع صنع علاقات حميمة وأخوية مع الحجاج على

[1]- المرجع السابق .ص248.

[2]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص156.

[3]-المصدر نفسه: ص81.

متن السفينة وانضم إلى مجموعة منهم بسرعة واندمج معهم كما كان يبادلهم الآراء ووجهات النظر والأمور الدينية.

نستنتج مما تقدم بأن العلاقة بين الشخصيات خضعت لمبدأ الانسجام والمنطقية ولم تقحم هكذا عشوائيا وهو ما يبرر توفيق الكاتب في هذا المجال وهو ما يظهر الأدبية أيضا.

المبحث الثالث:أدبية الفضاء

أما في هذا المبحث سنسعى إلى رصد أدبية الفضاء وذلك من خلال جملة من الأبعاد، في مقدمتها الفضاء المتخيل الذي يقابل الفضاء الواقعي، حيث استطاع مالك بن نبي في هذا النص من خلال قدرته الابداعية على خلق فضاءات غير موجودة في الواقع، كما استطاع خلق تقاطبات بين الفضاءات في الرواية؛ بحيث أنه قدم لنا معظم أحداث الرواية في فضاءات مفتوحة ومغلقة، فهذا التنويع أضفى جمالية إلى النص، كما سنسعى إلى رصد أدبية الوصف الذي يساهم بدوره في اضفاء أدبية على النص مع براز دلالة هذه الفضاءات

1-الفضاء الروائي بين الواقعي والمتخيل

أ-الفضاء الواقعي:

يعرف الفضاء الواقعي على أنه ذلك المكان الذي «له وجود حقيق في جغرافية الانسان الطبيعية المعروفة والمتداولة التي لا خلاف في تحديدها ويستدل على هذا من خلال منطلق التآلف والعيش والتداول الحيوي بين الأشخاص المتعين حضورهم دائما في المكان، على نحو دائم وشامل وكلي»[1] ومن أمثلة الفضاءات الواقعية التي وردت في رواية لبيك حج الفقراء، مدينة "عنابة" (بونة)، "مكة"، "المسجد"،

[1]-مُحَمَّد صابر عبيد.وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي،ص 237.

ولعل من أبرز الفضاءات التي لفتت انتباهنا وكانها له دور فاعل وأثر أكبر في الرواية وذلك من خلال التأثير على الناس، مثل ما حدث مع إبراهيم.

- **فضاء المسجد**

فا"لمسجد" مكان للعبادة يجتمعون الناس فيه لأداء أهم فريضة والتي تعتبر عماد الدين، كما يشكل الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي «استمع إبراهيم إلى هذا الصوت الذي يشدو كل صباح على امتداد آفاق الإسلام كأنه لم يسمعه منذ أمد بعيد، سمعه كمن أيقظه بعد نوم عميق لينادي إلى الصلاة»[1] ، وفي موضع آخر من الرواية «اتجه إبراهيم بعفوية نحو الأضواء صاعدا أدراج المدخل (...)تناهت إلى مسامعه همسة عادة ماتسمع عند أبواب المساجد في أوقات الصلاة (...)تناهى إلى مسمعه صوت المسمع الذي كان يكرر ما يقول الإمام ليسمع من يليه كأنه نعمة أرغن "الله أكبر" تتبع إبراهيم مشهد صلاة الجماعة الذي كان مألوفا لديه»[2] " فا"لمسجد" هنا ورد كما هو متداول ومعروف في طبيعة الإنسان فهو حقيقي معروف في السياق الجغرافي، معروف الأطر والحدود، يتمثل دوره في التوعية المجتمعية في اقناع الناس والتأثير على عقولهم وارشادهم إلى الطريق الصواب، وهذا ما حدث مع "إبراهيم السكير" فصوت الأذان الذي خرق سكون المدينة أيقظ فيه أصداء بعيدة فكان له تأثير ايجابي، ليتحول "إبراهيم" من سكير إلى حاج فيما بعد، وقد ورد المسجد في الرواية لدلالة على أن المجتمع العنابي مجتمع مسلم ملتزم بالصلاة فهي الصلة الروحية التي تربط الإنسان بخالقه.

[1] –مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص50–51.

[2] – المصدر نفسه.ص 53–54.

ب–الفضاء المتخيل

أما الفضاء المتخيل فهو ذلك الفضاء الذي لا يجد مرجعية له على أرض الواقع فيتشكل من الفضاء العجائي والغرائي ولاسيما التي تكون مأوى للشياطين والعفاريت والأشباح وغيرها، كما هو الشأن في ألف ليلة وليلة وكذا الفضاء المتخيل «ابن المخيل البحث الذي تتشكل أجزاؤه وفق منظور مفترض وقد تستمد لعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد وغير واضح المعالم»[1] تلك الأماكن الواقعية التي يستطيع الروائي بقدرته الابداعية على اخراجها من واقعيتها ليدخلها في فضاء متخيل وهذا ما نجده في رواية لبيك حج الفقراء، كما قد أشرنا سابقا في مقدمة الفصل أن مالك بن نبي لم يتعرف على الأشخاص بصورة كافية وبالتالي لم يتعرف على فضاءاتها ولعل أبرز الفضاءات المتخيلة:

- **فضاء السفينة**

فالسفينة تعرف على أنها وسيلة نقل عامة للانسان والبضائع فوق الماء؛ فهي وسيلة للعبور على عرض البحر لكن مالك بن نبي بقدرته الإبداعية وخياله الواسع استطاع أن يحول فضاء السفينة من مجرد وسيلة للعبور إلى مجتمع مثالي متخيل يلتقي فيه المؤمنون يسوده الإيمان وهذه المقاطع توضح ذلك «صعد إبراهيم إلى سطح المركب ليتوضأ، بعد أن أيقظه جماعته باكرا للصلاة(...) بدأ الحجاج يتحركون استعدادا للغداء، كانوا في غدوهم يتبسمون ويتبادلون طريق الكلام الذي أضفى شيئا من الحركة على المركب(...) اتخذ إبراهيم ومجموعته المكان نفسه الذي أقاموا فيه البارحة مكانا لتناول الطعام(...) كان كل منهم قد استخرج شيئا من مؤنته، خاصة الحلويات التي اعتاد الحجاج حملها معهم»[2] وفي مقطع آخر في الرواية

[1] –أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الادبي الحديث،دار صفاء للنشر والتوزيع الاردن،ط1، 2012، ص424.

[2] – ينظر: مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص87-132.

«هكذا استمر اليوم بأحداثه اليومية على ظهر المركب وانتهى كما بالأمس بصلاة العشاء، وهذا بعد أن ألقى الإمام على مجموعته بطلب من إبراهيم درسا دينيا يحض الفروض والنصائح والممنوعات التي تمس مناسك الحاج»[1] فهذه المقاطع توضح كيف حول الروائي فضاء السفينة إلى فضاء فسيح متخيل من خلال رسمه لحركات الحجيج وتصويره للمحبة والألفة والأخوة التي كانت تجمع بينهم على اختلاف ستراتهم ومستوياتهم وخلفياتهم وجنسياتهم والإنسان الذي كان يسوده، فهذا الفضاء (فضاء السفينة) الذي يتحول إلى مجتمع مثالي متخيل يؤمن به مالك بن نبي أكثر مما هو مجرد وسيلة للعبور.

وفي الأخير نستنتج أن الفضاء المتخيل ما هو إلا «بناء ذهني أي أنه إنتاج فكري بالدرجة الأولى(...) في حين أن الواقع هو معطى حقيقي وموضوعي»[2] فمالك بن نبي من خلال قدرته الإيداعية سعى إلى توظيف أماكن موجودة في الواقع، كما استطاع خلق فضاءات وذلك بإخراجها من واقعيتها، ليدخلها إلى فضاء متخيل سعى إلى تمثيله بابتداع يسجد رؤيته من خلاله، ويجعل القارئ يتصوره وكأنه عاشه حقيقة.

2-أنواع الفضاءات

اتخذت رواية "لبيك حج الفقراء" أمكنة متنوعة ومتعددة، إذ وجدنا أنفسنا مضطرين إلى ابراز أهم الأمكنة ولو القليل منها، لذلك سنقوم بتصنيف هذه الأمكنة إلى صنفين أمكنة (مفتوحة/مغلقة).

[1]- المصدر السابق. ص137.

[2] -ينظر:حسين خمري: الفضاء المتخيل(مقاربات في الرواية).منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2002، ص 43.

أ-الفضاءات المفتوحة

وهي الأماكن التي لا تحدها حدود، تستخدم للكشف عن المحيط الذي تقيم فيه الشخصيات وكذلك للتعريف بالمنطقة، وهي الأمكنة التي وردت في نص "لبيك حج الفقراء" نجد ما يلي:

- **المدينة**

تعد المدينة مكانا مفتوحا تجري فيه أحداث الرواية لذلك استهل "مالك بن نبي" نصه بالحديث عن مدينة "عنابة" (بونة إبان الحقبة الاستعمارية) إذ تشكل منطقة عبور رئيسية للحجيج الوافدين إليها من المدن المجاورة لاستلقاء الباخرة وهذا واضح في قوله «إن حجيج القطاع القسنطيني قادمين إلى عنابة ليستلقوا الباخرة»[1] ومن خلال هذا المقطع ندرك أن "عنابة" مدينة رئيسية في الرواية ومسرحا لأغلب أحداثها، فهي تشكل وسيلة اتصال بين المدن وبواسطتها يتم عبور حجيج البلدان الشرقية إلى بيت الله الحرام.

وبما أن المكان يرتبط ارتباطا وثيقا بالشخصيات يقدم لنا الروائي صورة المدينة عن طريق أهلها الذين كانوا يشاركون الحجيج ويستضيفونهم ببيوتهم اكراما لهم «وكثير من الحجيج يستضيفهم عائلات المدينة حيث تتشرف بتقديم آخر الوجبات للمتوجهين للبقاع المقدسة، فالحاج ليس ضيفا عاديا لذا يجب أن تحفظ أصول الضيافة معهم»[2] فهو يقدم لنا "عنابة" عن طريق أهلها الذين يتسمون بالكرم والجود وحسن الضيافة ومن خلال هذين المقطعين نجد دلالة واضحة ترمز إلى ما تزخر بها مدينة عنابة من عادات وتقاليد، وتعرف المدينة أكثر من خلال شوارعها وأزقتها.

[1]-ينظر: مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص28.

[2]- المصدر نفسه. ص29.

- **الشارع**

وهو أيضا من الأماكن اللامحدودة، المنفتحة على العالم الخارجي، و«للشارع جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا فالمدينة وفي الوقت نفسه، المصب الذي يصب فيه الليل والنهار أشغالهما وتجلياتهما فهو المسار والمصب في آن واحد»[1] فهو يعتبر مسرحا لحركة الشخصيات وشاهدا على غدوها ورواحها عندما تغادر أماكن إقامتها، وعملها ستجد حضورها في الرواية عندما عاد "إبراهيم" و"رفيقه" إلى الدكان وهما مخمورين «في واحد من هذه الأزقة، ترآى طيف شخصين مترنحين توقفا أمام باب الدكان وتأهب أحدهما لفتح الباب في حين تمايل الأخر لحظة ثم استلقى أرضا»[2] ومن خلال هذا المقطع ندرك أن الشارع كان مصرحا للأحداث، فهو يمنح للشخصيات الحرية في التنقل كما يعد شاهدا عربدات إبراهيم الليلية وهو مخمور، وعاكس لشخصيته.

- **البحر**

وهو من الأماكن المتفتحة الواسعة عبارة عن تجمع مائي كبير يقصده الناس طلبا للراحة، يمكنك أن تأوي إليه متى شأت، وهو من أروع النعم التي تدل على قدرة وعظمت الخالق و"البحر" في رواية "لبيك حج الفقراء" كان يشكل طريق العبور للحجاج إنطلاقا من مدينة "عنابة" وصولا إلى جدة وقد ورد ذكره في الرواية عندما استلقى "إبراهيم" الباخرة وراح يتأمل الأمواج ويستنشق هوائه ونسميه «كان المركب قد أبحر في عرض البحر وإبراهيم متكئ على المترسة يستنشق نسيم البحر المحمل برائحة اليود، ويتأمل بإعجاب الموج وهو يصطدم بجنيبات السفينة»[3] فالبحر هنا يمثل منبعا للراحة، فهو يحمل دلالة ترمز إلى

[1]- شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية،المؤسسة العربية لدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1، 1994، ص65.

[2]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء . ص 31

[3] -المصدر نفسه. ص92.

الانفتاح على الحياة، بعد تخلص إبراهيم من عربداته ومصيره المجهول، فهو السبيل الذي يطل منه الانسان على المكان الآخر، ويقيم الباعث للحياة والتجديد، وتتماثل حركة الأمواج مع حركة فكر "إبراهيم" لتدل على الهدوء الذي يعيشه.

- **السفينة**

وهي أيضا من الفضاءات المنفتحة، تعد وسيلة للعبور إلا انه في رواية "لبيك حج الفقراء" تختلف في ذلك المجتمع الذي كان يجمع الحجيج على اختلافهم يقول الراوي على لسان "إبراهيم" «أنا وجماعتي ركبنا من الجزائر العاصمة، ولقد اتخذنا مكانا خاصا بنا على المركب»[1] وفي موضع آخر من الرواية يقدم لنا الراوي كيف بدأ الحجيج بتنظيم حياتهم على سطح المركب، «"كان الحجاج قد بدِؤوا في تنظيم حياتهم اليومية على المركب، فمنهم من ينظم إلى مجموعة تشكله في الجزائر العاصمة، وآخرون يشكلون جماعات جديدة ليتناولوا الوجبات ويتسامروا ويقيموا الصلاة جماعة حتى وصولهم إلى ميناء جدة»[2] ففضاء السفينة هنا تمثل في ذلك المجتمع الذي شكله الحجيج، مجتمع جديد نقي يرغب في التطهير ويقو على أسس التعايش بين فئات البشر مع اختلاف أعراقهم ولغاتهم، يسوده المحبة والألفة من خلال علاقة المؤمنين التي كانت تسمو بسمو إيمانهم، ورفعة دينهم فهذه هي صورة فضاء السفينة.

- **مكة**

وهي أقدم بقاع الأرض، بها المسجد الحرام والكعبة الشريفة قبلة المسلمين في صلاتهم ووجهتهم لأداء فريضة من فرائض دين الاسلام إلا أنها في الرواية لم تظهر بصورة واضحة المعالم ولم يقدم لها ولو

[1] – المصدر السابق.ص83

[2] المصدر نفسه. ص82.

وصفا بسيطا، فالروائي كان يقصد بها البعد الديني الذي كانت تحمله «كم من مبرورة تتلاشى، وأكثر من أمنية تنسى أمام فكرة السعي تحت شمس مكة، ينبغي الإحساس بالنداء الحقيقي للحج، النداء الذي لا يقاوم كي يلبي بقوة لا تهم إن في الشتاء وإن في الصيف»[1] فمكة فضاء فيه دلالة على ما تحمله النفوس المؤمنة التواقة لرؤية قبر الرسول ﷺ يقصدها الإناث والذكور، الكبار والصغار، الأبيض والأسود، الغني والفقير، كلهم تلهب نفوسهم للذهاب، ومن خلالها أراد مالك بن نبي أن يعرف القارئ الأجنبي بقيمة الحج عند المسلمين فمعظم هذه الفضاءات المفتوحة التي اتسمت بطابع التحرر سعت بدورها إلى تشكيل بنية سردية متماسكة.

ب–الفضاءات المغلقة

وهي أماكن إقامة الشخصيات وتحركها ، تتسم بالانغلاق والانسداد والمحدودية وهي أماكن عادية مألوفة، وفي رواية لبيك حج الفقراء انحصرت هذه الأماكن في "البيت"، "الدكان"، "المسجد"،"الحانة".

- **البيت:**

وبما أن "البيت" مرتبط إرتباطا وثيقا بالإنسان فهو مسؤول على تشكيل الجانب النفسي للإنسان «إنه كما قيل مرارا كوننا الأول»[2] فقد يكون مكانا للدفء والراحة والاطمئنان، كما قد يكون مكانا يحمل الذكريات السيئة والواقع المرير وفي الرواية جاء ذكره في إحدى ذكريات "إبراهيم" لوالديه «كانت حياتهما ميسورة، كلها تقوى وانتظام في هذا البيت المقابل الذي يقطنه العم مُحَمَّد وفي هذا البيت نفسه كان إبراهيم قد تزوج»[3] فمن خلال ها المقطع نجد أن البيت فيه دلالة واضحة على الإيمان والتقوى والاستقرار

[1] المصدر السابق.ص27.

[2] –غاستون باشلار: جماليات المكان.تر:غالب هلسا،المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1984،2.ص38.

[3] –مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.ص45

الذي كان يعيشه "إبراهيم" مع والديه، فورد كمكان كاشف عن الخصوصيات والملامح النفسية، فقد كشف الذكريات الجميلة التي يحملها "إبراهيم" في مخيلته عن والديه وعن زواجه.

والبيت نفسه حرم منه "إبراهيم"، وذلك عند عودته إليه ليلا وهو مخمور كعادته حيث كانت بنات الجيران تطلب فأل الخير للزواج، فقد كان عليها أن تخرج الماء قبالة النجوم قبل الخلود إلى النوم «نزلت السلالم خفيتا تحمل في يد شمعة وفي الأخرى إناءا يحوي ماء(...)لكن في الوقت الذي وضعت فيه رجليها في سقيفة البيت، ارتسم خيال أسود على الجدران(...) فأطلقت الفتاة صرخة بعدما ظنت أنها رأت شبحا (...)وأيقظ الصراخ الجيران والجارات، فهرعوا باتجاه الصوت)...) فوجدوا إبراهيم في الرواق راجعا من دور بيته كان يبحث في الظلام عن مفتاحه الذي سقط منه(...) فأصدر الجيران الحكم برحيله... فامتثل إبراهيم للحكم وغادر المنزل»[1] ومن خلال هذه المقاطع نلاحظ أن حضور "البيت" تجسد من خلال ذكريات المنحوتة بالفرح والحزن فهو مهد الحلم والذكريات لمن يقطن بها، فقيمته لا تكمن في شكله الهندسي، والذي لا معنى له بل في إنسانيته والذكريات للتي تجول في أركانه وتتغلغل في أجواءه.

- **الدكان**

وهو من الأماكن المغلوقة أيضا محل"إبراهيم" لبيع الفحم، كان يسترزق منه نهارا ويلجأ إليه ليلا وهو مخمور ليتخذ منه مأوى له فقد ورد ذكره عندما جاء إليه وهو مخمورا ولم يكن يستطيع حتى تجاوز العتبة، فتدخل العم مُحَّد لمساعدته «دخل الشيخ معه إلى الداخل وكأنه يعرف تفاصيل المكان، كان يتحسس في الظلام بيديه، تناول علبة الكبريت وبزند عود منها أشعل شمعة وضعت فوق صندوق حانوتي، كان إبراهيم

[1]- المصدر السابق.ص79.

يتوسط المحل الذي كان دكانا للفحم»[1] فهو كان بمثابة البيت "لإبراهيم"، إلا أنه كان يشكل مقهى بالنسبة "لإبراهيم"، ففيه دلالة واضحة على الأوضاع المزرية التي يعانيها إبراهيم الذي يبقى حائرا في وسطه.

- **الحانة**

وهي مكان مخصص لبيع وشرب المشروبات الكحولية، وقد ورد ذكرها في الرواية عندما كان الحجيج متجهين إلى بيت الله، ذلك الجو الاحتفالي البهيج الذي أقيم عند رحيلهم أدخل "إبراهيم" البطل في جو من الخشوع والرهبة جعله ينهر في صديقه الذي كان يعرض عليه شرب كاس من الخمر في "الحانة" القريبة «انتهر رفيقه الذي كان معه عندما جره بيده، مثرثرا باستهزاء وهو يحاول أن يأخذه إلى حانة أخرى»[2] "فالحانة" كانت المكان الذي يلجأ إليه "إبراهيم" لشرب الخمر مع رفقائه ، ومنه نستنتج أن ضيق فضاء "الدكان" و"الحانة" يعكس لنا الضيق السلوكي الذي يعيشه "إبراهيم"، كما نجدهما يمثلان فضاءات للرذيلة.

- **المسجد**

"المسجد" مكان السجود لله عز وجل وفيه تقام الصلوات، ويتلى فهو دار عبادة المسلمين، وموضع تتنزل به الرحمات واستجابة الدعوات، وقد تجسد حضوره في رواية "لبيك حج الفقراء"، من خلال صوت أذان الفجر، هذا الصوت الذي اخترق سكون المدينة النائمة الذي لم يسمعه "إبراهيم" منذ زمن بعيد «سمعه كمن أيقظه بعد نوم عميق لينادي إلى الصلاة»[3] وورد ذكره أيضا عندما اتجه إبراهيم نحو المسجد

[1]- المصدر السابق.ص 34.

[2]- المصدر نفسه. ص38.

[3] -المصدر نفسه.ص51.

«ثم اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه المسجد الذي لاحت منارته السامقة في السماء»[1] فمن خلال هذه المقاطع يطلعنا الكاتب على دور "المسجد" وذلك من خلال التأثير الإيجابي على "إبراهيم" فمثل هذه الفضاءات كثيرة لتنشئت الفرد تنشئة صالحة بتهذيب سلوكه وتقويم أخلاقه، وهذا ما تحقق مع بطل الرواية، فنجد دلالته ترمز للعبادة وتقوى الله وأداء الصلوات، ومن خلاله يصور لنا "مالك بن نبي" المجتمع العنابي.

فكل هذه الفضاءات المغلقة بما تحملها من خصائص (منها ما يحمل ذكريات ومشاعر، ومنها ما يحمل معانات ومتاهة) ساهمت بدور قليل في تشكيل بنية من بنيات السرد ألا وهي الفضاء.

3-وصف الفضاء

يتشكل النص الروائي من عدة عناصر تتألف فيما بينها لتؤدي دلالة معينة تبرز جمالياته بما أن الفضاء واحد من هذه العناصر، وباعتباره يجسد المساحة التي تحدث فيها أحداث الرواية، فإن الروائي يلجأ في تشكيل هذا الفضاء إلى آلية الوصف التي تعد أداة إستراتيجية لتقديم المكان فهو «"يتكفل بتاطير الأحداث وهو الذي يأخذ على عاتقه رسم أحداثه»[2] ونلتمس أدبية الوصف في قدرة الروائي على تشكيل صورة الفضاءات التي لم يتمكن من الوصول إليها إلا من خلال الاعتماد على الخيال.

وبما أن نص "لبيك حج الفقراء" جاء حافلا بالأمكنة الموصوفة سنسعى إلى ابراز الأهم منها والتي تجلت في حديثه على مدينة "عنابة" بما أنها كانت تشكل منطقة عبور رئيسية فقد حظيت بمقاطع وصفية من بينها «إن عنابة كانت تعيش في عرس(...) في هذا اليوم كانت(...) تحتفل بالحجيج وكانت الحركة غير عادية قرب محطة القطار(...) كان الجو رائقا في المساء، وكانت ليلة متوسطة حفيفة وشفافة كأنها

[1] –المصدر السابق.ص53.

[2] إبراهيم صحراوي: بنية نص الخطاب الروائي(دراسة تطبيقية). دار المعارف،الجزائر،ط1، 1999، ص 101.

سجف مرصع بالمجوهرات يلف المدينة والميناء»[1] وفي موضع آخر «وكثير من الحجيج تستضيفهم عائلات المدينة»[2] فالروائي من خلال هذه المقاطع يصف لنا الأجواء التي كانت تعيشها المدينة في حضرة الحجيج ويصور لنا تلك الحركة التي خلقوها عند محطة القطار فالراوي يتحدث عن المدينة حديث العارف بها وبعادات أهلها في الاحتفال بموسم الحج هنا لا يصف المدينة بصورة مفصلة وصفا دقيقا، وانما اكتفى بالإشارة إلى الملامح التي تتميز بها المدينة التي شكلها أهلها بأخلاقهم وسلوكاتهم وكرمهم وحس ضيافتهم وبما أن "الشارع" يمثل شريان المدينة فها هو الراوي يصف لنا تلك الأزقة كيف أصبحت بعد مغادرة الحجيج «الأزقة التي كانت تعج بالناس في الصباح أمست الآن خالية، وانطفأت أنوار المتاجر الواحد تلو الآخر، كما تنطفئ فوانيس عرس قد انتهى، وقد لاح القمر ساحبا بأشعته بين الأسطح المتقاربة»[3] ومن خلال هذا المقطع أوقف السارد الحدث وراح يصف لنا الأزقة، وهو عبارة عن وصف للتغيرات التي طرأت، كيف تحولت شوارع المدينة المكتظة بالحركة إلى شوارع خالية، كيف انتهى ذلك العرس، وانطفأت أنوار فوانيسه ولاح القمر ينوره الضعيف الخافت في شوارع عنابة، وهو وصف معنوي يدل على الهدوء الذي يسود المدينة عند حلول الظلام.

ويتسمر الوصف في الرواية ليصف لنا الراوي الملجأ الذي يأوي "إبراهيم" «كان إبراهيم يتوسط المحل الذي كان دكانا للفحم، وكانت تتدلى خيوط العنكبوت، من خشبة السقف الذي لا يمكن التعرف من خلاله على طبقة كلس الجيم الممسوحة لكثرة تراكم غبار الفحم وفي ركن منه توجد كومة فحم بجانبها أكياس مملوءة لم تفتح بعد أما الغربال وميزان الفحم فقد أكمل تأثيث هذا الجانب من المحل، وفي الجانب

[1] مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.ص 29 – 30-31.

[2] المصدر نفسه.ص29.

[3] – المصدر نفسه. ص31

الآخر، وضع صندوق فوقه الشمعة التي لا تكاد تضيء سريرا حقيرا وهو المتاع الشخصي الوحيد في هذا المتجر والذي يمثل حجرة نومه أيضا»[1] فالسارد يصف لنا "الدكان" الذي كان يمثل بيت "إبراهيم" ففيه دلالة واضحة على الأوضاع المزرية التي كان يعيشها، وذلك من خلال وصفه لخشب السقف، وغبار الفحم الذي غطى طبقة كلس الجير فهو يطالعنا بقذارة المكان، فالراوي عندما وصف لنا الدكان فهو يعرض أمامنا انعكاسا للحالة التي كان يعيشها "إبراهيم".

ومن المقاطع الوصفية التي تحملها الرواية أيضا وصف السارد لحركة الميناء عندما وصل "إبراهيم" و"رفيقه" والعم "مُحَمَّد" «عندما وصل الرجال الثلاثة إلى الميناء، كانت هناك حركة غير اعتيادية، كان هناك جمع غفير من أهل الحجاج وأصحابهم وحتى الفضوليون يملئون مرفأ الركوب الذي تتقاطر إليه عربات الخيل مغطاة بمظلات، وسيارات كانت تنزل أناسا وأغراضا باتجاه العبارة التي كانت تشهد ذهابا وايابا كثيفين»[2] أوقف السارد مرة أخرى مسار السرد وتعطيل حركته ليضف لنا في الاقبال الكبير الذي شهده الميناء سواء من حجاج ومن أهاليهم وحتى الفضوليين، هذا الوصف الدقيق يدل على قدرة الكاتب الابداعية في وصف وتصوير المكان حتى يقرب القارئ من حقيقة الشيء الموصوف ويجسدها أمامه لدرجة يشعره وكأنه موجود فيه.

ويستمر الوصف في الرواية ليصف لنا "المركب على عرض البحر" «كان المركب قد أبحر في عرض البحر وإبراهيم متكئ على المترسة يستنشق نسيم البحر المحمل برائحة اليود ويتأمل بإعجاب الموج وهو يصطدم بجنبات السفينة(...) كان جو صاف يغشى المركب الذي كان يرسم مجراه بلون الصدق على بحر

[1] –المصدر السابق. ص35

[2] –المصدر نفسه. ص72.

ممتد(...) عبر المركب الليل على بحر هادئ وهو يؤرجح في لطف الحجيج النائمين»[1] قدم لنا الراوي هذه المقاطع ليصف لنا المركب على عرض البحر والجو الذي كان يسوده، وبما أن المكان مرتبط بالشخصيات فهو يعكس لنا صورة "إبراهيم" على سطحه، فنقاوة الجو وصفاء وسكون "البحر" وهدوءه يدل على صفاء الذهن والهدوء الذي كان يعيشه "إبراهيم" حيث وظف بعض الكلمات التي تدل على ذلك (متكئ، يستنشق، يتأمل، بإعجاب، جو صاف، بحر هادئ، يؤرجح في لطف)

وختاما يمكن أن نقول أن وصف الفضاءات كان له دور كبير توضيح مجريات وأحداث الرواية.

المبحث الرابع: أدبية السرد

الأدبية في السرد تتجلى من خلال التنويع في الصيغ السردية هذه الصيغ التي حددها "سعيد يقطين" في كتابه "تحليل الخطاب الروائي" متمثلة في «السرد، العرض، وهنالك نمط آخر نجده وسيطا بين المسرود والمعروض وهو الذي يمكننا أن نسميه بالمنقول»[2] هذه الصيغ نجدها في رواية "مالك بن نبي" تتنوع وتتفاوت من حيث الاستعمال، وذلك تبعا للوظيفة التي يحققها كل نوع من هذه الأنواع وهذا التنويع في الأساليب السردية مع اختلاف وظائفه يحقق النص أدبيته، وفي ما يلي سنحاول رصد هذه الصيغ وهي مرتبة حسب حضورها في الرواية إذ نجد الخطاب المسرود أولا ثم يليه الخطاب المعروض ثم المنقول، وهذا من خلال تتبعنا لصفحات الرواية، وكثرة الخطاب المسرود في الرواية، دليل على أنها تنتمي إلى الرواية التقليدية.

[1] -ينظر:المصدر السابق.ص92-122-132.

[2] -ينظر:سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي. ص197 – 198.

1-الخطاب المسرود

يرتبط الخطاب المسرود بفعل السرد وهو «الخطاب الذي يرسله المتكلم وهو على مسافة مما يقوله، يتحدث فيه إلى مروي له»[1] ومن أمثلة الخطاب المسرود في الرواية ما جاء على لسان السارد وهو يخبرنا على تدخل "العم مُحَّد" عندما قرر الجيران طرد "إبراهيم" من منزله بسبب عربداته «تدخل العم مُحَّد ليضع حدا لفضائح إبراهيم وعربداته، فكان تدخله هذا احتراما لجيرانه الشرفاء، امتثل إبراهيم طوعا لقرار طلب صديق العائلة الحميم الذي كان وراء حصوله على المتجر الذي يقيم فيه الآن، إن العم مُحَّد كان يفكر في الوقت نفسه بإيوائه وأن يفتح له بقالة بميزانية صغيرة على أمل أن تنقذه من هذا الوحل السيئ الذي غاص فيه»[2] ومن خلال هذا المقطع يطالعنا السارد على المسؤولية التي يشعر بها "العم مُحَّد" اتجاه "إبراهيم"، وفي نفس الوقت يكشف لنا عن الاحترام الذي يكنه لجيرانه وتوضيفه عارفا بكل خبايا شخصيته بأفكارها ومكنوناتها يخبرنا عن الفكرة التي تختلج العم "مُحَّد" المتمثلة في إيواء "إبراهيم" وافتتاح بقاله له كوظيفة هذا الخطاب المسرود تكمن في الكشف عن خبايا الشخصيات.

وفي موضع آخر من الرواية، ورد خطاب مسرود آخر يكشف لنا من أين يبدأ طيش إبراهيم «كان طيشه قد بدأ في دكانه الصغير حيث تناول عشاءه رفقة جماعة من المخمورين ممبار وفلفل حار وكله مخلل بكميات هائلة من الشراب الأحمر إنه الطعام التقليدي لكل المشردين في المرافئ الجزائرية»[3] ومن خلال هذا المقطع يطالعنا السارد على المكان الذي بدأ فيه إبراهيم طيشه، كما يخبرنا عن الطعام الذي يتميز به المخمورين في الجزائر، فهو يكشف لنا عادات المخمورين وتستمر صيغة الخطاب المسرود في الرواية

[1] -ينظر: المرجع السابق. ص197.

[2] - مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء . ص33.

[3] - المصدر نفسه. ص37.

فتكشف لنا عن الخبايا النفسية التي تعيشها الشخصيات ومثال ذلك معاناة زهرة وهذا المقطع يوحي لنا ذلك «في هذا اليوم دخل صباحا مخمورا إلى حد لم يبلغه قط(...) وكانت زهرة تنتظر استيقاظه لتضع "الميدة" (طعام الغداء)... كانت قد عادت بعد أن قامت بغسل بعض الملابس لقتل الوقت، وارتسمت على صفحات وجهها رقة وحزن كمن به مرض عضال، كانت تعاني من مدة من سلوك إبراهيم غير السوي الذي كان يعذبها خاصة بعد انتقال والديه إلى الرفيق الأعلى»[1] فهذا المقطع يوضح لنا المعاناة والحالة المأساوية التي كانت تعيشها "زهرة"، فهي امرأة تعيش حالة من الغياب والتهميش من قبل زوجها السكير "إبراهيم" الذي كان لا يعيرها أدنى اهتمام فهذا الخطاب كان وسيلة لمعرفة الخبايا النفسية التي تعيشها الشخصيات.

كما ورد خطاب آخر يسرد لنا الأفكار والأشياء التي تريد الشخصيات القيام بها وهذا ما يوضحه هذا المقطع «اتجه أولا إلى أحد باعة القماش، الذي قطع له أمتارا من نسيج قطني أبيض لتكون له لباسا للاحرام، هذا الرداء الذي يشده الحاج حول جسمه عند أدائه شعائر الحج من الطواف حتى رمي الجمرات»[2] فهذا المقطع يطالعنا على الشيء الذي أراد "إبراهيم" القيام به والمتمثل في شراء قماش لكي يكون لباسا للاحرام إضافة إلى التعريف باللباس الذي يرتديه الحجاج عند أدائهم ركن من أركان الإسلام ألا وهو الحج، فلباس الإحرام يرمز إلى وحدة المسلمين وأنه لا فوارق ولا اختلاف بينهم لا من حيث اللون أو اللغة أو البلد بل المسلمون امة واحدة.

[1]- ينظر: المصدر السابق. ص46.

[2] -المصدر نفسه.ص60-61.

2-الخطاب المعروض

وهو خطاب على شكل حوا يفسح فيه المجال للشخصيات لتتحدث بنفسها عن نفسها وتتحاور فيما بينها فـ «المتكلم يتكلم مباشرة إلى متلق مباشر ويتبادلان الكلام فيما بينهما دون تدخل الراوي»[1] والملاحظ على صيغة الخطاب المعروض في رواية" لبيك حج الفقراء" أنها تأتي أغلبها متناوبة مع الخطاب المسرود، فالراوي لا يتردد في التدخل في هذه الحوادث. وهذا راجع لطبيعة الرواية والتي هي عبارة عن سرد لأحداث قضية معينة.

وتظهر صيغة الخطاب المعروض في الرواية في الحوار الذي دار بين الحجيج ومستضيفيهم وذلك عند توديعهم

-«في العام المقبل إن شاء الله!

- في العام المقبل إن شاء الله!

- إن شاء الله! إن شاء الله! أدعوا لنا عند قبر الرسول ﷺ.

- العام المقبل، إن بقينا أحياء.

- آه كم أتمنى أن أموت هناك »[2]

فالسارد قدم لنا الحوار ليطلعنا على طريقة توديع المسلمين والجزائريين خاص للحجيج محملينهم بالدعوات فهي دعوات تخرج من القلب لعل الله يكتب لها القبول طالبين منهم الدعاء عند قبر الرسول ﷺ فهدا الخطاب يكشف لنا عن مشاعر النفوس المؤمنة التواق لرؤية قبر الرسول ﷺ المتحصرة المتمنية أن

[1]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي.ص197.

[2]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص 29-30.

تموت عنده والملاحظ على هذا الحوار غياب السارد كليا تاركا الشخصيات تتحدث فيما بينها فهو حوار قصير يتميز بالتسلسل والتعاقب.

ورد في مواضع أخرى من الرواية صيغ معروضة كان يتخللها حضور السارد، وهي الأكثر حضورا في الرواية بعد الخطاب المسرود، ومن أمثلة ذلك الحوار الذي دار بين العم "مُحَمَّد" و"إبراهيم" وهو عائد مخمور كعادته.

«–ماذا بعد يا إبراهيم؟ مرة أخرى ثملا؟ ألا تفكر أنك في هذه الساعة المتأخرة تزعج جيرانك المساكين.

–هل تدري أنني اضطررت إلى قطع صلاتي حتى لا أدعك تصرخ طوال الليل تحت نافذتي؟

صمت الرجل الثمل فجأة لدى رؤية مخاطبه الذي كان قد ألقى عليه هذه الكلمات وهمهم بصوت خافت وقال شيئا يشبه الاعتذار وصل بعسر إلى شفتيه.

–آسف عمي مُحَمَّد، إنه مكتوب على الجبين، والله إنه مكتوب، آسف... لن أقوم بأي إزعاج سأخلد إلى النوم»[1]

فمن خلال هذا المقطع يتضح لنا أن العم "مُحَمَّد" يلوم "إبراهيم" على شرب الخمر، وذلك من خلال طرحه الأسئلة بشكل مستمر التي تشير إليها علامات الاستفهام المتكررة يهدف من ورائها إلى الكشف عن السبب الذي يجعله دائما مخمورا، إلا أن إبراهيم اكتفى بإجابات محددة تجسدت في قوله آسف إنه مكتوب متتابعة بنقاط توحي على الكثير من الانطباعات النفسية والأحاسيس الداخلية فهو خطاب

[1]– المصدر السابق. ص32–33.

يكشف معاملة "العم مُحَمَّد" و الطيبة "لإبراهيم" والاحترام الذي يكنه "إبراهيم" للعم "مُحَمَّد" وهنا نجد تدخل السارد بين المقاطع الحوارية بالشرح والتعليق والشواهد من هذا النوع كثيرا

ويستمر الخطاب المعروض في الرواية الذي يشهد تدخل حضور السارد، وهو ما جاء في الحوار الذي دار بين العم "مُحَمَّد" و"إبراهيم" ولكن هذه المرة عندما قرر إبراهيم الذهاب إلى الحج.

«–ماذا بعد يا إبراهيم أهب عربدة أخرى من عربدات هذه الليلة؟.

أحس إبراهيم ببعض الحرج ورد عليه معتذرا:

–لن أعود إلى ما كنت عليه يا عمي **مُحَمَّد!**

رد عليه الشيخ مازحا وهو يود معرفة الغرض الحقيقي من هذه الزيارة.

- يا إبراهيم، هذه يمين سكير.
- لكن إبراهيم رد عليه بحزم:
- أبدا**!** هذه المرة هي يمين حاج...»[1]

فهذا المقطع يوضح لنا التغير المفاجئ الذي طرأ على "إبراهيم"، كيف قرر فجأة التخلي عن شرب الخمر، وأصبح يرغب في الذهاب إلى الحج. كما يوضح لنا ردة فعل العم مُحَمَّد اتجاه هذا القرار غير المنتظر.

والملاحظ على المقطعين تدخلات الراوي متخللة الحوارات، فهو لا يتردد في التدخل وذلك قصد «التأطير لها عن طريق تعليقه عن كلام الشخصية أو طريقتهما في الكلام أو الأثر الذي خلفته في النفس أو غير ذلك من تدخلات الراوي المسماة "مصاحبات الخطاب المعروض»[2]

[1]– ينظر : مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء. ص57.

[2]– إلهام علول: بنية الخطاب الروائي عند وسيني الاعرج من خلال ورايته الاخيرة.بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستر في الادب العربي،جامعة قسنطينة، 200-2001،ص 42.

3-الخطاب المنقول:

وهو خطاب يتحضر فيه السارد كلام الشخصية كما لفظت به ويتم نقله بأمانة ويكون نقلا «حرفيا بصيغة المتكلم يأتي غالبا بعد فعل القول أو في معناه، ويكون نقلا مسبوقا بنقطتين وموضوعا بين قوسين مزدوجتين»[1] والملاحظ على هذا الخطاب في رواية "لبيك حج الفقراء" أنه لم يشهد حضور كباقي الخطابات وإنما كان حضوره شبه منعدم دلالة على قلة أهميته وتجسده في الرواية عندما دعا "إبراهيم" لنفسه بالشفاء، وهو يقصد الشفاء من سفهه وطيشه وهذا المقطع يوضح ذلك «يا رب اشفني من شروري فإنا مريض، اهدني سواء سبيلك فإني ضال»[2] ، فالسارد ينقل لنا هذا الخطاب نقلا حرفيا كما جاء على لسان إبراهيم. تمثل في الكشف عن مدى رغبة "إبراهيم" في التخلي عن معاقرة الخمر والعودة إلى طريق الله من عبادة وصالح الأعمال، توبة نصوحة طاهرة مطهرة من كل رجس وعمل يغضب الله سبحانه وتعالى.

كما يوضح هذا المقطع أن الخطاب منقول تكون فيه السلطة لشخصية دون تدخل الراوي، بل أنه يقوم بدور الناسخ فقطن كما يتميز بالأمانة دلالة على ما يراه فيها من خصوصية وإضاءة أكثر للأحداث، فهذا التميز بالأمانة يجعل المتلقي أو القارئ يتواصل ويتفاعل روحيا مع ما تشعر به الشخصية ويجد نفسه عارف فيها وكأنه عاش الأحداث جملة وتفصيلا.

وهكذا ساهمت هذه الصيغ على اختلافها وتنوعها في إعطاء النص جمالية، وفي اعطاء بناء محكم للرواية من البداية إلى النهاية.

---

[1]- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية.ص 91.

[2]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.ص54.

المبحث الخامس: أدبية الزمن

سنحاول في هذا البحث رصد أدبية الزمن من زاويتين، زاوية تقنية وأخرى رؤيوية فالأولى تتعلق ببحث مدى مطابقة زمن القصة لزمن الخطاب، لأن بعض الروايات التقليدية المحاكية للواقع وخاصة السيرية منها يكون الترتيب الزمني فيها محافظا على شكله التقليدي أي زمن القصة هو نفسه زمن الخطاب، وهنا تغيب أدبية الزمن نسبيا، ليس بالضرورة أن يتطابقا، بل إن أدبية الكتابة يمكن في تشكيل الزمن الخام أدبيا ويمكن رصد ذلك الاستباقات والاسترجاعات واستحضار الزمن من خلال الحلم و الرؤية ، أي الابتعاد عن الزمن المعاش فعليا.

أما الزاوية الثانية فترتبط بالرؤية أي رؤية الكاتب للزمن، وهنا تظهر مسألة دلالة الزمن وهو ما وجدناه عند مالك بن نبي ، حيث أن هذا المفكر الأديب كان يكتب من الواقع بعين المفكر، وأظهر ذلك عن طريق شخصياته التي عاشت في زمنين، مدنس وآخر مقدس وهو أشبه بالحلم أو الزمن المثالي الذي كان يصبوا إليه «فقصة "لبيك" في أعقاب "الظاهرة القرآنية"، كانت في زمن مبكر من تأمل بن نبي ترسم الطريق والاتجاه بعصر جديد يكتبه الجيل القادم بعد أن تستسلم الحضارة المادية الغربية لمصيرها في مسيرة القرن كما توقع بن نبي في دراساته أنه مسرى حج الفقراء تلبية للنداء الإلهي "لبيك اللهم لبيك" في عفوية روحهم وأصالتها، في شخصية الجزائر التي غلفتها ظلال من ليل الاستعمار المظلم لكنها بقيت تستبطن البواعث في قيم الرسالة مع الظاهرة القرآنية التي كانت كما يقول بن نبي في شهادته. أول إنجاز علمي وأدبي مقام الاستعمار ومؤسس لمفهوم البداية في أفق النهاية»[1]، نفهم من هذا أن مالك بن نبي

[1]–مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء.ص11.

أراد بهذه القصة أن تكون جسر يعبر من خلاله الجزائريين من ظلمات الاستعمار إلى أنوار الحرية والاستقلال، كما كانت تنبؤ مسبق من طرفه لمستقبل الجزائر.

1-الترتيب الزمني

لقد استطاع الكاتب توظيف تقنيتي الاستباق والاسترجاع في الرواية بغرض إضفاء بعض الأدبية من الرواية ،حيث أننا تطرقنا إلى التعريف والشرح المفصل لهاتين التقنيتين فيما تقدم من البحث.

أ-الاسترجاع

لقد حظيت الرواية بالكثير من الاسترجاعات التي ساعدت في تشكيل أدبية الزمن في الرواية حيث هناك أمثلة كثيرة تدل على ذلك، ولكن نحن سوف نأخذ البعض منها، وفي واحد منها نجد إبراهيم البطل يعود بذاكرته إلى الوراء ليروي لنا جزءا من ماضيه «مرت بخاطره ذكرى، رسمت على وجهه ابتسامة، كان مشهدا مضحكا بسبب رحيله من المنزل العائلي الذي كان يقيم فيه رغما عن كل ساكنيه عدا العم مُحَّد لم يتقبل أن يكون بينهم مطلق وسكير ولكنهم احتملوه لأنه كان صاحب المنزل وأيضا العم مُحَّد كبير البيت، كان يدافع عنه احتراما لذكرى والديه»[1] معنى هذا أن الكاتب أراد أن يعرض علينا ما كان عليه "إبراهيم" سابقا من سلوك غير سوي سبب له الطرد من المنزل العائلي.

وفي مشهد آخر نجد أن الكاتب «فيتذكر جدته العجوز التي كانت تسحره بقصصها الرائعة، وذكريات عصر ذهبي نطربه، والحنين يجتاحه إلى ماضيه العائلي، إلى والده وأمه وإلى طفولته»[2] تذكر "إبراهيم" جزءا كبيرا من طفولته وحنان جدته ووالديه.

[1]- مالك بن نبي: لبيك حج الفقراء ص 78.

[2]- المصدر نفسه. ص42.

وفي استرجاع آخر جاء على لسان الكاتب يقول: «استرجع الأن إبراهيم مشهدا واحدا ذلكم هو المشهد الأخير من حياته الزوجية، كانت الساعة الثانية زوالا وفي البيت الذي يقيم فيه العم مُحَمَّد حاليا، حيث كان يسكن مع زهرة في غرفتين في الطابق العلوي، في هذا اليوم دخل صباحا مخمورا إلى حد لم يبلغ قط من قبل، وفي الساعة الثانية بعد الظهر استيقظ كالعادة بعد ليالي عربداته، وكانت زهرة تنتظر استيقاظه لتضع "الميدة" (طعام الغداء) »[1]، عاد "إبراهيم" إلى ماضيه مع زوجته ويومياتهم البائسة الغير مستقرة.

نستنتج من هذه الاسترجاعات، السابقة بأن كان لها دور في تقديم وتعريف الشخصية وصفاتها وسلوكاتها، وقد وردت كلها في شكل تأنيب للضمير وخجل "إبراهيم" من وضعه وما آلت إليه حياته.

ب–الاستباق

لقد كان للاستباق دور هو الآخر في الرواية وفعلياتها ، ومن بين الاستباقات البارزة فيها «ولقد رأى نفسه في لباس الإحرام(...) »[2] ، جاء هذا الاستباق عبارة عن تمهيد لما سيحدث في المستقبل، وفي مقطع آخر «لكنه بذل جهدا ليكبح قفزة شعوره، وكان يريد أن يطلق العنان لروحه التي كانت تتمسك بدرب حلمه، كان يرى من جفنيه وكأنه خارج من مرفأ عنابة والمركب يعج بهتافات الحجيج الملبية لدعوة الحج وصفارات الإقلاع من تلك الباخرة تصطحبهم مثل نغمات الأرغن L'orgue وفعلا جسد إبراهيم، ودون وعي، المشهد مرددا بأعلى صوته: لبيك لبيك»[3] ، من خلال هذا يعرض لنا الكاتب الشكل الذي سوف يكون عليه "إبراهيم" خلال ذهابه إلى الحج، حيث تتحقق هذه الاستباقات أو

[1]–المصدر السابق.ص46.

[2]–المصدر نفسه. ص22

[3]–المصدر نفسه.ص40

بالأحرى يتحقق حلم إبراهيم إذا ما تتبعنا مجرى الأحداث «أجل يا عمي مُحَمَّد، لقد جئت إليك في هذا الوقت غير المألوف لأنني مستعجل، إنها السادسة، وأنا أريد أن أذهب مع الحجاج الذين سيغادرون اليوم قبل الظهر مهما كلفني الأمر»[1].

نستنتج من هذه الاستباقات بأنها كانت مقاطع تشويقية تحملنا على الانتظار ومعرفة ما سوف يحل بإبراهيم وبمستقبله وهل سيغير من نفسه إذا ما تحقق الحلم ولاكمال قراءة القصة حتى الأخر.

2-الزمن والشخصيات

إذا ما عدنا إلى الحديث عن الزمن من زاوية رؤية الكاتب في رواية "لبيك" نجد أن "مالك بن نبي" ورغم ضيق الوقت «كتبها في غرفة فندق بين سفرتين متقاربتين جدا»[2] إذ مثلت «عمق الروح الجزائرية وشخصياتها اللمنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية المنشدة الى منازل الوحي»[3]، حيث استطاع الاشتغال عبر زمنين من خلال شخصياته، زمن يمثل الروح الإسلامية الجزائرية الأصلية مثل،« العم مُحَمَّد يمثل الأصالة المتجذرة في الأمة»[4] وزمن يمثل الانحطاط والانحراف وجميع مخلفات الاستعمار إذ تجسد في شخصية « إبراهيم فهو يمثل وعلى انحرافه عن الطريق السليم الميل الذي احتك وعايش المجتمع الأوروبي في الجزائر»[5].

فالشخصيات "إبراهيم" و"الهادي" كانا يمثلا رمز السواد، الأول بسكره وبيعه للفحم والثاني بتشرده وعمله في مسح الأحذية بالملمع الأسود، حيث عاش "إبراهيم" ماض مزر وحياة مليئة بالمعاصي لأنه «من

[1]-المصدر السابق. ص58.
[2]-المصدر نفسه. ص24.
[3]- المصدر نفسه. ص10.
[4]- المصدر نفسه.ص18.
[5]- المصدر نفسه. ص18.

الجيل الذي احتك وعايش المجتمع الأوروبي في الجزائر حيث كان في حيرة من أمره، فكل ما تعلمه منذ الصغر، وإن كان غائصا في أعماقه فإن ما يطفو على السطح لا يتناسب مع أحاسيسه العميقة»[1] وبفضل حلم استطاع تخطي زمن الفسق وذهب إلى زمن المثل العليا واستدرك الأمر وأدى فريضة الحج، ومن هنا نفهم أن ذلك الحلم كان وسيلة نقل بين الزمنين، والحلم ما هو إلا انعكاس الروح الباطنة وأحاسيسها.

وبالنسبة للطفل "الهادي" «تحدى رفاقه وصعد إلى المركب للحج هو الآخر، وإن كان بينه وبين البيت الحرام بحر، فتحدى هادي ونقاوة نفس إبراهيم دفعت بهما إلى أبعد الأمصار، لأن العزيمة أقوى من أن تقهر»[2] ،فبصعود "إبراهيم" و"هادي" على متن الباخرة، هنا حدث تغيير جذري إذ تولد لديهما إحساس الانتماء إلى مجتمع جديد، مجتمع نقي يعرف طريق الله والاختلاط بالحجاج الآخرين، حتى الوصول إلى مكة تائبين وأديا مناسك الحج، حيث شمر "إبراهيم" على ساعديه ليباشر العمل في حمام يبيع فيه المشروبات لرواده، وهذا يبين لنا الانتقال من عمل بيع الفحم الذي يمثل كما قلنا السواد إلى العمل في الحمام الذي يعتبر مكان للنظافة والطهارة.

لقد عبر "مالك بن نبي" عن الاستعمار والرضوخ للواقع الفرنسي المرير، فاستقرار "إبراهيم" بالمدينة المنورة دليل على ذلك «أحس وكأنني إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد العيش فيه إن شاء الله»[3] وهذا هو معنى التحرر والثورة على المادي والمعنوي، وبهذا نستطيع القول بأن مالك بن نبي وفق في التنقل عبر الزمن كما استطاع خلق أدبية الزمن للرواية من خلال ما قدمناه من الاشتغال على الزمن

[1]–المصدر السابق. ص18.

[2]– المصدر نفسه.ص22.

[3]–المصدر نفسه.ص155.

بطريقة تخالف الحقيقة التي جاء عليها في الواقع، فالسرد يعود تارة إلى الوراء وتارة يستبق، ورأينا كيف مثلت الشخصيات فكر "مالك بن نبي"، ونظرته للوضع الجزائري إبان الإستعمار.

خـــاتـــمة

تم بحمد الله ونعمته، اتمام هذا البحث المتواضع الذي حاولنا فيه قدر استطاعتنا أن نلم ببعض أطرافه، ونتجه دائما نحو الهدف المرسوم ألا وهو الوقوف على"أدبية السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية الحديثة لبيك حج الفقراء لمالك بن نبي"، لذلك سنسعى إلى ابراز أهم النتائج التي توصلنا اليها من خلال هذا البحث والمتمثلة في:

ـمن خلال ضبطنا للمصطلحات يمكن أن نقول أن الأدبية، ماهي إلا خاصية تعنى بدراسة الخصائص الكامنة في أعماق النص الأدبي، لتجعله متميزا عن غيره من النصوص الأخرى.

ـ يمكن أن نقول أن السيرة الذاتية، هي السيرة التي يكتبها الشخص بنفسه عن نفسه، فالشخص المعني بيها هو الذي يتكفل بانجازها.

ـأشار عدد من الباحثين والدارسين إلى أن السيرة الذاتية تتخذ أنماطا متعددة منها: السيرة الذاتية الدينية، والسيرة الذاتية العلمية، والسيرة الذاتية السياسية وغيرها، كل واحدة منها شكلت نمطا مستقلا وخاصا.

ـتتداخل السيرة الذاتية مع مجموعة من الأجناس الأدبية وتتقاطع معها من بينها: الاعترافات، اليوميات، المذكرات، وغيرها كما وجدنا أن السيرة الذاتية تتعالق وتتضافر مع أجناس أخرى، مثل الرواية وغيرها.

ـتبين لنا من خلال تتبعنا لمسارات الرواية السيرية في الأدب الجزائري، ومن خلال المرحلتين، مرحلة الاستعمار ومرحلة ما بعد الاستعمار، أن الأولى معظمها كتبت باللغة الفرنسية، أما الثانية فقد شهدت كتابات باللغة العربية، إلا أن لب مواضيعها كامن في الدفاع عن الجزائر والجزائرين وابراز معاناتهم وآلامهم التي عاشوها مع المستعمر.

ـكما وجدنا أن السيرة الذاتية تقوم على أسس وقواعد يجب توافرها وأي خلل في تلك القواعد ينقلها إلا جنس آخر، ومن أبرز هذه الأسس(الميثاق، التطابق، الدوافع، الصراع، الحقيقة والخيال

والصدق والصراحة) فانعقاد العقد أو الميثاق شرط أساسي في النص السيري وذلك من خلال وضع عنوان فرعي يوضح جنس العمل الأدبي، أو وجود اشارات واضحة في الصفحات الأولى تؤكد أن المؤلف هو نفسه السارد.

_تتعدد الدوافع لكتابة السيرة الذاتية وتختلف من كاتب لاخر، فمنها ما يكون لتبرير أو الاعتذار، ومنها ما يكون لتقديم تجربة أو الدفاع عن النفس، سواء صرح الكاتب بذلك أم لا يصرح.

_تبين لنا كذلك أن الحقيقة في السيرة الذاتية تبقى نسبية، لأن كاتب السيرة الذاتية قد تعترضه شاكلة النسيان أو خيانة الذاكرة في أي طور من أطوار حياته، فيلجأ إلى التخييل والتمويه والمبالغة والتلفيف ليصل أجزاء وتفاصيل الأحداث.

_أما بالنسبة للأدبية فقد تحققت في رواية لبيك حج الفقراء من خلال البنى السردية المشكلة للعمل الروائي والتي نجملها في مايلي:

_احتلت الشخصيات في الرواية موقعا متميزا، فقد تنوعت بين الواقعية والمتخيلة والثانوية والرئيسية، فمالك بن نبي بقدرته الابداعية استطاع أن يرسم من خلال شخصياته مجتمعين، مجتمع يمثله ابراهيم وهادي احتك وعايش المجتمع الأوروبي ومجتمع يمثل الأصالة والروح الاسلامية يمثله العم مُحَّد وغيره.

_اتضح لنا أن الأدبية تتجلى من خلال اختيار أسماء الشخصيات وطرائق رسمها، فالكاتب لا يمكن أن يضع أسماء عشوائية لشخصياته، فالملاحظ على أسماء الشخصيات التي اختارها مالك بن نبي أن كلها أسماء عربية اسلامية، مثل إبراهيم، مُحَّد، فاطمة.

_برزت الأماكن في الرواية بين الواقعية والمتخيلة والمنفتحة والمغلقة تقوم على تقابلات وتقاطبات، تضفي على النص جمالية. كما اهتم مالك بن نبي بوصف الأماكن في روايته بطريقة تفصيلية لتكتمل صورتها، هذا الوصف تكفل بتأطير الأحداث لكي يضفي على النص أدبيتة وشعريتة.

_توفرت الرواية على جميع تقنيات السرد، تنوعت وتعددت بين خطابات مسرودة ومعروضة ومنقولة، ولكن غلبة عليها الخطاب المسرود وهذا راجع لطبيعة الرواية والتي يمكن ادراجها ضمن الروايات الكلاسيكية، فهي لا ترقى إلى أساليب الرواية الجديدة.

_أما بالنسبة لزمن فقد استطاع مالك بن نبي توظيف زمني الاسترجاع والاستباق بغرض اضفاء بعض الأدبية على الرواية، لكن ما نلاحظه هو هيمنة زمن الاسترجاع وذلك بغرض التعريف بماضي الشخصيات وسلوكاتها وصفاتها. أما علاقة الزمن بالشخصيات فان مالك بن نبي استطاع التنقل بين زمن مقدس يمثل الروح الاسلامية الجزائرية من خلال شخصية العم مُحَّد وزمن مدنس يمثل الانحطاط والانحراف وجميع مخلفات الاستعمار من خلال شخصية إبراهيم.

-مالك بن نبي من خلال هذه الرواية رسم لنا عمق الروح الجزائرية المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية، وذلك من خلال القيم والأخلاق الدينية التي عكستها الرواية في أداء شعيرة الحج ممثلة في الطهر والعودة إلى الله.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها "**فإن أصبنا فمن الله تعالى وإن أخطأنا فمن أنفسنا**"

ملحق

لبيك حج الفقراء الرواية الوحيدة للمفكر والفيلسوف الجزائري مالك بن نبي،نشرها سنة 1947 عن دار النهضة بالجزائر،كتبها باللغة الفرنسية وتمت ترجمتها من قبل زيدان خوليف.

تدور أحداث الرواية في مدينة عنابة بونة ابان الحقبة الاستعمارية،حيث وضع مالك بن نبي القارئ انذاك وحتى اليوم في الأجواء التي كان يعيشها الانسان الجزائري،حيث مؤثرات النمط الأوروبي،فالعم مُحَّد والطفل هادي والسكير ابراهيم وزوجته كانوا يمثلون الشعب الجزائري بمختلف فئاته،فالعم مُحَّد يمثل الأصالة المتجذرة في الأمة،أما السكير ابراهيم على الرغم من انحرافه عن الطريق المستقيم إلا أنه كان في حيرة من أمره؛فكل ما تعلمه منذ صغره لايتناسب مع ما يفعله،أما زوجته زهرة كانت تمثل المأة الجزائرية التي ظلت تكن لزوجها كل الاحترام على الرغم ما عانته من ويلات وعربدات ابراهيم الليلية؛كانت تعامله كأنه أخوها أو ابنها،أما الطفل هادي يمثل رمز التحدي بعزيمة أقوى من أن تقهر حين صعد المركب هو الأخر لأداء فريضة الحج.

رواية بسيطة إلا أن معانيها عميقة،تمثل عمق الروح الجزائرية في نبل الأخلاق وحب الخير ومساعدة الغير وتقاسم الأفراح والأحزان.

تدور أحداثها حول البطل ابراهيم السكير ذلك الرجل الذي انحصر بين سواد ليله وظلمة دكانه وعشقه للخمر وحياته البائسة وكره الناس له بسبب شربه للخمر وعربداته،خاصة بعد انتقال والديه لرفيق الأعلى وطلاقه لزوجته زهرة حتى أصبح يلقب بوقرعة؛لكن على رغم من انغماسه في هوى النفس وادمانه على الخمر،إلا أنه كان هناك شيء بداخله يتوق لتغير وكأنه رجلان بثوب واحد،وفي ليلة من الليالي وهو في نشوة سكر كعادته رأى نفسه بلباس الاحرام؛هذا الحلم أثر في نفسه وتركه في حيرة من أمره،ليقرر فجأة ودون سابق انذار ودون أن تكون له نية من قبل لذهاب إلى بيت الله والتوبة والكف عن مساوء

أفعاله،فبدى ذلك واضحا من خلال شكله وأفعاله،اتجه إلى العم مُحَمَّد ذلك الشيخ الطيب الأصيل الذي لم يكف يوما عن مساعدته،اندهش الشيخ بعد رؤيته ذلك التغير الواضح على السكير ابراهيم،كانت فرحته كبيرة بعودة ابراهيم إلى جادة صوابه؛ولما علم ما يريده قرر مساعدته وبادرة معه في إجراءات الحج وتمت العملية بنجاح وتحقق حلم ابراهيم السكير.

تستمر أحداث الرواية في عرض المركب وسط تكبيرات الحجيج وكانت سعادة ابراهيم لاتوصف،فالحج من أجمل الشعائر الدينية.

كانت جموع الحجيج مختلفة من حيث الأماكن والتقاليد وحتى الزاد،ولكن على الرغم من الاختلاف إلا أنهم شكلوا علاقات أخوية وخلقوا جو عائلي يتبادلون فيه أطراف الحديث ويصلون جماعة،وهنا توطدت علاقة ابراهيم بالطفل هادي.هادي طفل يتيم يعاني من فقدان الحنان فيتشرد في الشوارع ويعمل ماسحا للأحذية،إلا أنه لم يحد عن مقصده هو الأخر على الرغم من الصعاب التي واجهته في حياته،ليصعد المركب بعد الرهان الذي عقده مع أصدقائه،لم يكن هادي يعلم من دينه شيء فيعلمه ابراهيم الوضوء والصلاة وهنا تطورت العلاقة بينهم من معلم وتلميذ إلى أب وابنه.

توالت الأيام وزاد ارتباط الحجيج ببعضهم وزادت محبتهم ومودتهم وعند الوصول إلى بيت الله وبعد تأديتهم لفريضة الحج طاب المقام لابراهيم وهادي في بيت الله،فقرر الاستقرار هناك تاركين وراءهم الماضي التعيس،فحصل ابراهيم على شغل كله رحمة فأصبح يبيع القهوة في الحمام إلا أنه لم ينسى زوجته السابقة زهرة وصبرها الرائع معه،فكله ندما على ما بدر منه من سوء معاملة متمنيا لها أن تلتحق به في العام المقبل.

وأخيرا يمكننا أن نقول أن مالك بن نبي من خلال هذه الرواية صورة بصدق حالة الشعب الجزائري المسلم والأجواء التي كان يعيشها في فترة الاستدمار،كما استطاع أن يبرز الحس الديني المتأصل في نفسية

الشعب الجزائري؛وذلك من خلال شخصية ابراهيم،كما نجده يذكرنا من خلال هذه الرواية بأن قيمنا وهويتنا هي طريق نهضتنا وهي التي يجب أن ننطلق منها لرسم حياة جديدة تناسب مبادؤنا وأخلاقنا.

مالك بن نبي في سطور

واحد من أهم الفلاسفة والمفكرين الجزائريين، اسمه الكامل مالك بن نبي بن لخضرية مصطفى بن نبي، ولد في الفاتح من جانفي عام 1905 الموافق لـ 05 ذي القعدة 1323ھ، بمدينة قسنطينة، بدأ تعلمه بالمدرسة القرآنية، وفي الوقت نفسه في الابتدائية الفرنسية بتيسة، تحصل على شهادة التعليم الابتدائي سنة 1918م بتقدير "جيد" لكنه لم ينتقل إلى الثانوية لأنه كان من الصعب على أبناء المستعمر الإنتقال إلى هذه المرحلة، لكنه حصل على منحة لمتابعة دروسه في الاكمالية بمدينة قسنطينة.

تخرج مالك بن نبي من الثانوية عام1925 برتبة "كاتب عدل" وتعتبر هذه الفترة بداية تكوينه الفكري لما زخرت به من مطالعات وقراءات، وفي هذه الفترة أيضا التقى بالشيخ "عبد الحميد ابن باديس" وأعلام النهضة الجزائرية أمثال "لشيخ المولود بن الموهوب" و"الشيخ مُحَّد بن العابد"، اللذان اكتسبا منهما العلم الشرعي، ونمى ثقافته الإسلامية، كما اكتسب من الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" الحماسة والشجاعة والإقدام.

عمل في محكمة "تبسة" "ترجمانا"دون أجر، ثم جاءه عرض عمل في ثلاث محاكم اختار محكمة "آفل"و قرب مدينة "الأغواط"، ثم انتقل إلى "شلغوم العيد" ونظرا للأوضاع التي كانت تسود المنطقة ترك الوظيفة وعاد إلى "تبسة".

سافر إلى "فرنسا" لإتمام دراسته (دراسة الحقوق) ولكن رغبته لم تتحقق فدرس في معهد التقنيات الكهربائية، وفي هذه الفترة انخرط في جمعية اسمها "الوحدة المسيحية للشبان المساريين" كما انخرط في

مجموعة أخرى تسمى "وحدة طلبة الشمال الإفريقي" ولما أنشأت "وحدة المسلمين" مجلة كتب مقدمتها "مالك بن نبي" وحينها ألقى أول محاضرة بفرنسا بعنوان "لماذا نحن مسلمون".

سافر إلى "مصر" عام1956، وكان له في "القاهرة" نشاط حثيث مع المفكرين، والساسة والمنظمات حيث عين مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة سنة 1956م.

وبعد الاستقلال في عام 1963 عاد إلى "الجزائر"، اشتغل مديرا في وزارة التعليم العالي،لكنه استقال من منصبه عام 1967،وذلك ليتفرغ للعمل والإنتاج الفكري،فأصبح يشكل ندوات فكرية بمنزله في "الجزائر العاصمة"،كانت تحضرها فئات مختلفة من المجتمع الجزائري .

وفي عام 1972 قام بأداء فريضة "الحج" وفي طريقه توقف في دمشق وحاضر فيها، وكانت محاضرته لها وقع متميز في نفوس الحاضرين، وقد اعتبر البعض هذه المحاضرة أنها وصيته الأخيرة. وبعد عام من عودته من أداء الفريضة وافته المنية في عام1973 وهو يؤدي احدى وظائفه الثقافية، حيث كان يعبر الصحراء الجزائرية، وحينها قد ناهز الثمانية والستين من عمره – رحمه الله –.

مؤلفاته

ترك رحمه الله سجل حافل بالمؤلفات والعطاء الفكري، تمحورت كلها لإبراز مشكلة العالم المتخلف بما في ذلك العالم الإسلامي، تندرج معظمها في سلسلة تحت عنوان "مشكلة الحضارة" ومن أبرزها:

1- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

2- آفاق جزائرية.

3- بين الرشاد والتيه.

4- تأملات.

5-دور المسلم رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.

6- شروط النهضة.

7-الصراع الفكري بين البلاد المستعمرة.

8-الظاهرة القرآنية.

9-فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ.

10- فكرة كومنولث الإسلامي.

11- في مهب المعركة.

12- مذكرات شاهد القرن –الطفل.

13- مذكرات شاهد القرن –الطالب.

14- المسلم في عالم الاقتصاد.

15- مشكلة الثقافة.

16- ميلاد مجتمع –شبكة العلاقات الاجتماعية.

17- النجدة

18- وجهة العالم الإسلامي.

19- العفن.

20- دراسة حول النصرانية.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القران الكريم (برواية ورش)

أولا: المصادر

-مالك بن نبي.لبيك حج الفقراء.ترجمة : زيدان خوليف ، دار الفكر ، دمشق ، طبعة1، 1430هـ-2009م .

ثانيا: المراجع

أ-الدراسات والمؤلفات

-إبراهيم خليل: بنية النص الروائي.منشورات الاختلاف،الجزائر،الطبعة1، 2010.

-إبراهيم صحراوي: بنية الخطاب الروائي(دراسة تطبيقية).دار المعارف،الجزائر،الطبعة1، 1999.

-إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية.التعاضدية العالمية للطباعة،صفاقص،تونس،الثلاثية الأولى،1986.

-إحسان عباس: غربة الراعي(سيرة ذاتية).دار الشروق،عمان،الأردن،الطبعة1، 2006.

-إحسان عباس: فن السيرة.دار الشروق لنشر والتوزيع،عمان،الأردن،الطبعة1، 1996.

-أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك.نوفل،بيروت،لبنان،(دط)،2012.

-أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد.دار الأدب،بيروت،الطبعة5، 2000.

-أحمد رحيم كريم الخفاجي: المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث.دار صفاء لنشر والتوزيع،الأردن،الطبعة1، 2012.

-أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات نصر الله.المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع،الطبعة1، 2005.

-أحمد هيكل: الأدب القصصي والمسرحي في مصر.دار المعارف،بيروت،لبنان،الطبعة4، 1983.

-أسامة بن منقذ الشيرزي: الاعتبار.تحقيق:عبد الكريم الأشتر.الطبعة1424،2هـ/2003م.

-أسامة مُحَمَّد البحيري: السيرة الذاتيةفي التراث(أنواعهاوتشكيلاتها).كتاب المجلة العربية،الرياض،1439هـ.

-أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر.المركز الثقافي العربي،الطبعة1، 1994.

-اياد خالد الطباع: الامام حافظ جلال الدين السيوطي. (معلمة العلوم الاسلامية) ، دار القلم، دمشق، الطبعة1، 1417هـ - 1996 م.

-بدر عبد المحسن طه: تطور الرواية العربية المصرية(1870هـ/1938م).دار المعارف،القاهرة،الطبعة1، 1963.

-بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان.جامعة اليرموك،ايربد،الأردن،الطبعة1، 2001.

-بن علي لونيس: تفاحة البربري(قراءات نقدية مفتوحة).منشورات فيسرا،(دط)،2012.

-تقي الدين ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد.تحقيق:شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط.مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،الطبعة3،1418هـ/1998م.

-تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة1، 2002.

-توفيق الحكيم: سجن العمر(سيرة ذاتية).المطبعة النموذجية،الحلمية،مصر.

-جابر عصفور: زمن الرواية.المدى،دمشق،سوريا،الطبعة1، 1999.

-جلال الدين السيوطي: التحدث بنعمة الله.تحقيق:إليزابيث ماري سارتين.المطبعة العربية الحديثة،مصر،1975.

-جليلة طريطر.مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث(بحث في المرجعيات).ج1_2،مركز النشر الجامعي،تونس،الطبعة1، 2004.

-حبيلة الشريف: بنية الخطاب الروائي.عالم الكتب الحديث،ايربد،الأردن،الطبعة 1، 2010.

-حسن بحراوي: بنية التشكيل الروائي.المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،الطبعة1، 1990.

-حسن خمري: الفضاء المتخيل(مقاربات في الرواية).منشورات الاختلاف،الجزائر،الطبعة1، 2002.

-حفيظة أحمد: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية.مركز اوقاريت الثقافي،رام الله،فلسطين،الطبعة7، 2007.

-حميد حميداني: بنية النص السردي. المركز العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة3، 2000.

-زهور ونيسي: من يوميات مدرسة حرة.الشركة الوطنية لنشر والتوزيع،الجزائر،الطبعة1،2007.

-زينب الغزالي: أيام من حياتي،دار التوزيع والنشر الإسلامية،1999.

-سامية بابا: مكون السيرة الذاتية في رواية (حكايتي شرح يطول لجناب الشيخ) ، دار غيباء، الطبعة1، 2012.

-سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة.منشورات المكتبة الجامعية،دار البيضاء،1984.

-سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، 1999.

-شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية.المؤسسة العربية لدراسات والنشر،بيروت،لبنان،الطبعة1، 1994.

-شوقي ضيف: الترجمة الشخصية. دار المعارف، القاهرة، الطبعة2، 1970.

-الصادق قسومة: طرائق تحليل القصة.دار الجنوب،سلسلة مفاتيح،(دط)،2000.

-صدوق نور الدين: سير المفكرين الذاتية. المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة1، 2000.

-صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر. ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، الطبعة1، 2002.

-ضياء غني لفتة.عواد كاظم لفتة: سردية النص الأدبي،دار حامد،الطبعة1، 2001.

-ضياء غني لفتة: البنية السريدة في شعر الصعاليك.دار حامد للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،الطبعة1، 2010.

-عادل ضرغام: في السرد الروائي. الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة1، 1431هـ-2010م.

-عائشة يحي الحكمي: السيرة الذاتية عند أدباء المملكة العربية السعودية في مرحلة الطفره(1390هـ_1418م)،دار كنوز المعرفة العلمية،الطبعة1، 2015.

-عباس محمود العقاد: عالم السدود والقيود(سيرة ذاتية).دار الكتاب اللبناني،بيروت،الطبعة2، 1982.

-عبد الرحمان ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا.عرضه:مُحَمَّد بن تاويت الطنجي.دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،الطبعة1425،1هـ/2004م.

-عبد السلام مسدي: الأسلوب والأسلوبية. الدار العربية للكتاب، الطبعة3.

-عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية. الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، الطبعة1، 1962.

-عبد اللطيف الأرنؤوط: أحلام مستغانمي(مرافئي ابداعية في الثقافة والأدب).الدار العربية للعلوم،بيروت،الطبعة 1، 1434 هـ- 2013م.

-عبد الله البستاني: معجم الوافي،مكتبة لبنان ناشرون،الطبعة2، 1990.

-عبد النور جبور: المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،الطبعة2، 1984.

-عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا، وأنواعه، وقضايا، وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة2، 2009.

-عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي.منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،سوريا(دط)،2008.

-فدوى طوقان: رحلة جبلية رحلة صعبة(سيرة ذاتية).دار الشروق للنشر والتوزيع،رام الله،1999هـ/2005م.

-فهمي ماهر حسن: السيرة تاريخ وفن.مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،الطبعة1، 1970.

-لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية.دار النهار للنشر،بيروت،لبنان،الطبعة1، 2002.

-لويس معلوف: المنجد في اللغة والأعلام.دار الشروق،بيروت،لبنان،الطبعة7، 1937.

-مُحَمَّد البارودي:عندما تتكلم الذات(السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث).اتحاد الكتاب العرب،دمشق، (دط)، 2005.

-مُحَمَّد الداهي: الحقيقة الملتبسة(قرأة في أشكال الكتابة عن الذات).الدار البيضاء،الطبعة1428،1هـ/2007م.

-مُحَمَّد بوعزة: تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم).الدار العربية للعلوم،الرباط،المغرب،الطبعة1، 2010.

-مُحَمَّد شكري: الخبز الحافي(سيرة ذاتية).دار الساقي،بيروت،لبنان،الطبعة6، 2000.

-مُحَمَّد صابر عبيد.وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي في ملحمة(دراسة في الملحمة الروائية).عالم الكتب الحديث،اربد،الأردن،الطبعة1، 2012.

-مُحَمَّد صابر عبيد: السيرة الذاتية. (قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية) ، عالم الكتب الحديث،الطبعة1، 2007.

-مُحَمَّد صالح الشنطي: تداخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية. بحث منشور في كتاب تدخل الأنواع الأدبية في الرواية الأردنية، جامع اليرموك ، 2008 .

-مُحَمَّد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة(معالم نظرية خلدونية على التاريخ الاسلامي) مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،لبنان،الطبعة1، 2001.

-مُحَمَّد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث.دار الثقافة،بيروت،لبنان،الطبعة1، 1973.

-مُحَمَّد فكري الجزار: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي.الهيئة المصرية العامة،(دط)،1998.

-مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة،الجزائر،1976.

-مصطفى نبيل: سير ذاتية عربية.دار الهلال،الاسكندرية،1992.

-نبيل حمدي شاكر: بنية السرد في القصة القصيرة.مؤسسة الوراق،عمان،الأردن،الطبعة1، 2013.

-نبيل حمدي شاكر: بنية القصة القصيرة.مؤسسة الوراق لنشر والتوزيع،عمان،الاردن،الطبعة1، 2013.

-هيثم الحاج علي: الزمن النوعي واشكاليات النوع السردي.مؤسسة الانتشار العربي،بيروت،لبنان،الطبعة1، 2008.

-وليد ناصيف: الأسماء ومعانيها.دار الكتب العربي،دمشق،سوريا،الطبعة1، 1997.

-يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الادب العربي. دار صادر، بيروت، الطبعة1، 1996.

-يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح. منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، الطبعة1، 2010.

_ب/الرسائل الجامعية:

-إسراء سالم الخزاعي: اليرة الذاتية في جهود الدارسين العرب.أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها،جامعة القادسية،1438هـ/2017م.

-إلهام علول: بنية الخطاب الروائي عند واسيني الأعرج من خلال روايته الأخيرة.أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي،جامعة قسنطينة،2001/2000.

-براءة محمود السقرات: كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الشيرزي(دراسة تحليلة).أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيسترفي الأدب،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة مؤتة،2011.

-فايز صلاح قاسم عثامنة: السرد في رواية السيرة الذاتية العربية(دراسة في البناء والتقنيات).أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتواه في اللغة العربيةوآدابها/أدب ونقد،جامعة اليرموك،اربد،الأردن،2010.

-مليكة ضاوي: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية(1995_2005) دراسة موضوعية فنية.أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري،جامعة العقيد الحاج لخضر،باتنة،2014_2015.

-نعيم بن أحمد: سوسيونصية السرد في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري.أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العربي،جامعة مُحَّد بن خضرة،بسكرة،الجزائر،2011/2010.

-ج/ المجلات والدوريات:

-سعيد أبو عيطة: بنية الخطاب في رسالة التي.مجلة البيان، ع316،الكويت،نوفمبر،1966.

-سعيد علوش: الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية.مجلة الثقافة الأجنبية، ع3،بغداد،العراق،1989.

-عز الدين مناصرة: شهادة في الشعر.مجلة فضيلة،تصدرها الحافظية، ع1، 1990.

-مُحَّد العباس: حداثة مؤجلة.مؤسسة اليمامة الصحفية، ع59،الرياض،نوفمبر،1998.

-د/ المعاجم اللغوية والقواميس:

-ابن منظور جمال الدين: لسان العرب.المجلد4،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،الطبعة1، 2003.

-مرتضي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس.المجلد1،مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،الطبعة1، 1306هـ.

_هـ/المراجع المترجمة:

-اندريه موروا: فن التراجم والسير الذاتية.ترجمة:أحمد درويش.المجلس الأعلى لثقافة،1999.

-جورج ماي: السيرة الذاتية.ترجمة:مُحَّد القاضي وعبدالله صوله،بيت الحكمة،تونس،(دط)،1992.

-غاستون باشلار: جماليات المكان.ترجمة:غالب هلسا.المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،الطبعة2.

-فريدة بوعليط: رواية ابن فقير.ترجمة:عبد الرزاق عبيد.دار تلاثيقية،بجاية،2013.

-فيليب لوجون: السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ.ترجمة:عمر حلي.المركز الثقافي،بيروت،لبنان،الطبعة1، 1994.

-مولود فرعون: ابن فقير.ترجمة:نسرين شكري.المركز القومي للترجمة.الطبعة1، 2014.

و/المواقع الإليكترونية:

-ريهام عبد الناصر:حياة أحلام مستغانمي الشخصية.28_09_2018.WWW .ALMRSAL.COM.

-مقتبس من موقع ويكيبيديا، WWW.WIKIPEDIA.ORG

-نادية راضي: أفضل مؤلفات أحلام مستغانمي. 23_08_2014.WWW .ALMRSAL.COM

فهرس

الموضوعات

البسملة

الإهداء

مقدمة.....**أ_ب_ج**

الفصل الأول:مفاهيم نظرية في الأدبية والسيرة الذاتية.

المبحث الأول: مفهوم الأدبية.....**ص6**

المبحث الثاني: ماهية السيرة الذاتية.....**ص9**

1_السيرة لغة.....**ص9**

2_السيرة اصطلاحا..... **ص9**

أ_الترجمة الذاتية/السيرة الغيرية..... **ص11**

ب_السيرة الذاتية..... **ص11**

3_أنماط السيرة الذاتية..... **ص12**

أ_السيرة الذاتية الدينية..... **ص12**

ب_السيرة الذاتية العلمية..... **ص13**

ج_السيرة الذاتية السياسية..... **ص15**

المبحث الثالث:علاقات السيرة الذاتية بالأشكال الأدبية الأخرى..... **ص17**

1_ الاعترافات..... **ص17**

2_اليوميات..... **ص18**

3_المذكرات..... **ص19**

4_التاريخ..... **ص20**

5_أدب الرحلات..... **ص20**

أ/الوضع الأجناسي للسيرة الذاتية..... ص21

1_الرواية..... ص21

2_رواية السيرة الذاتية..... ص23

3_السيرة الذاتية الروائية..... ص25

المبحث الرابع:مسارات الروايات السيرية في الأدب الجزائري..... ص26

1_الرواية الجزائرية في عهد الاستقلال..... ص26

2_الرواية الجزائرية مابعد الاستقلال..... ص30

الفصل الثاني:مقومات النص السيري.

المبحث الأول:الميثاق..... ص36

1_الميثاق السيري الذاتي..... ص36

أ_العنوان..... ص37

ب_الاهداء..... ص37

ج_المقدمة..... ص37

2_الميثاق الروائي..... ص38

3_الميثاق المرجعي..... ص38

المبحث الثاني:التطابق..... ص38

1_الشخصية..... ص39

2_الزمن..... ص40

أ_زمن القصة..... ص41

ب_زمن الخطاب..... ص41

3_المفارقات الزمنية..... ص42

أ-الاسترجاع..... ص42

أ-1الاسترجاع الخارجي..... ص43

أ-2الاسترجاع الداخلي..... ص43

4_الاستباق..... ص44

أ/الاستباق التمهيدي..... ص44

ب/الاستباق كإعلان..... ص45

5_الحذف..... ص45

أ/الحذف المعلن..... ص46

ب/الحذف الضمني..... ص46

6_الفضاء..... ص46

أ/الفضاء المغلق..... ص48

ب/الفضاء المفتوح..... ص48

المبحث الثالث:الدوافع..... ص49

المبحث الرابع: الصراع..... ص53

1/الصراع الداخلي..... ص55

2/الصراع الخارجي..... ص56

المبحث الخامس:الحقيقة والخيال/الصدق والصراحة..... ص**58**

1/النسيان..... ص**60**

2/الحياء..... ص**61**

3/الصدق والصراحة..... ص**63**

الفصل الثالث:تجليات الأدبية في رواية لبيك حج الفقراء(دراسة تطبيقية)

المبحث الأول:سيرية نص لبيك حج الفقراء ودلالة العنوان..... ص**67**

1/**سيرية نص لبيك حج الفقراء**.....ص**67**

2/**دلالة العنوان**.....ص**68**

المبحث الثاني:أدبية الشخصيات..... ص**70**

1_الشخصيات بين الحقيقية والمتخيل..... ص**70**

2_الشخصيات بين الرئيسية والثانوية..... ص**72**

أ/الشخصيات الرئيسية..... ص**72**

ب/الشخصيات الثانوية..... ص**73**

3_طرائق رسم الشخصيات..... ص**76**

أ/الرسم الخارجي..... ص**76**

ب/الرسم الداخلي..... ص**78**

4_دلالة الأسماء..... ص**79**

5_العلاقة بين الشخصيات الروائية..... ص**81**

المبحث الثالث:أدبية الفضاء..... ص**82**

1_الفضاء بين الواقعي والمتخيل..... ص82

أ/الفضاء الواقعي..... ص82

ب/الفضاء المتخيل..... ص84

2_أنواع الفضاءات..... ص85

أ-الفضاءات المفتوحة..... ص86

ب-الفضاءات المغلقة..... ص89

3_وصف الفضاء..... ص92

المبحث الرابع:أدبية السرد..... ص95

1_الخطاب المسرود..... ص96

2_الخطاب المعروض..... ص98

3_الخطاب المنقول..... ص101

المبحث الخامس:أدبية الزمن..... ص102

1_الترتيب الزمني..... ص103

أ/الاسترجاع..... ص103

ب/الاستباق..... ص104

2_الزمن والشخصيات..... ص105

خاتمة..... ص109

ملحق..... ص113

قائمة المصادر والمراجع..... ص119

فهرس الموضوعات..... ص124